

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : هذه الموافقة سنة ١٩٢١ م

تشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٣٧ م

شوال وذو القعدة سنة ١٣٥٥ هـ

رعى :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً } وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

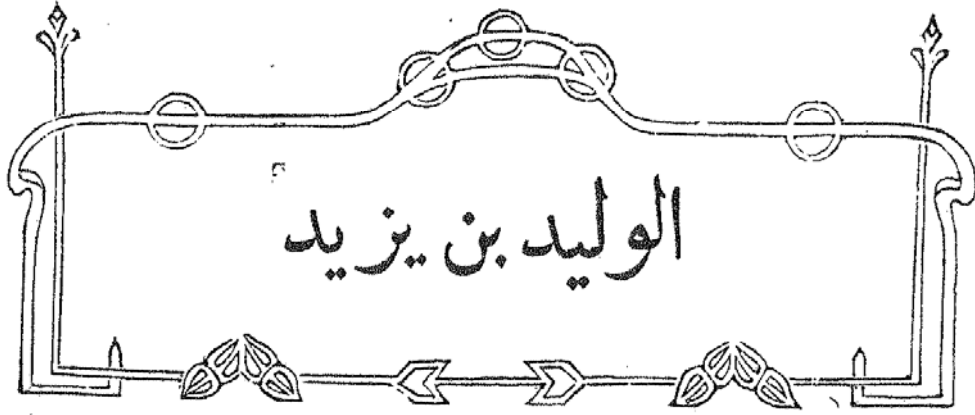
من السنة الاولى ٦ ثمن السادسة الى كل سنة منها في الداخل ٢٥٠

السابعة الى الثانية عشرة = ٢٠٠ =

الاولى الى السادسة = في الخارج ٤٠٠ =

السابعة الى الثالثة عشرة = ٢٢٥ =

مطبوعة ابن زيدون * بدمشق



حياته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته ابو العباس وأمه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي بنت اخي الحجاج بن يوسف وفيه يقول أبو نخيلة :
بين أبي العاصي وبين الحجاج بالكما نورا سراج وهاج
عليه بعد عمه عقد التاج

ومن جداته ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عممة النبي عليه السلام ،
كان يفتخر بها إذ يقول :
نبي الهدى خالي ومن بك خاله نبي الهدى يقهر به من يفاخر

ولد الوليد بدمشق حوالي سنة تسعين للهجرة ونشأ في قصر ابيه يزيد بن عبد الملك ويزيد هذا من فتيان بني امية وأول خليفة منهم عرف بالشراب ومعاشرة القيان وحب الغناء فشب ابنه الوليد مستهتراً فيما ذكر . وعهد بأمر تاديبه الى يزيد بن ابي مساحق السلمي والى عبد الصمد بن عبد الاعلى الشيباني ، وكلاهما اديب شاعر ؛ ولكن عبد الصمد كان معروفاً بالشراب يتهم بالجنون ويرمى بالزندقة فتأدب عليهما وتخرج بهما ولما كانت سنة اثنتين ومائة عهد يزيد بن عبد الملك بولاية العهد الى أخيه هشام ابن عبد الملك ، ثم الى ابنه الوليد بن يزيد ، وكان الوليد هو مؤيد ابن إحدى عشرة سنة ، وتزوج في حياة أبيه سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وفي سنة خمس ومائة توفي يزيد بن عبد الملك ، وأفضت الخلافة الى هشام المشهور بالعفاف والحلم والجد ، والوليد يومئذ في عنفوان صباه فعكف على اللذات ولها بالشراب وكلاب الصيد ، وجاهر بالمجون ، واتخذ ندماءه من الظرفاء والخلعاء ، فنغير عليه هشام بعد أن كان مكرماً له ، وأراد أن يقطع أصحابه عنه ، فولاه الحج سنة ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، وظهر منه تهاون بأمور الدين ، فلما عاد وبلغ ذلك هشاماً ، اغتاض وقال له : يا وليد ! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيت به غير متحاش ، فكذب اليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشرها صرفاً وممزوجةً بالسخر أحياناً وبالفاخر

وأبو شاكر هذا هو مسلمة بن هشام . وطمع هشام بخلع الوليد وجعل ابنه مسلمة ولياً للعهد وأراد الوليد على ذلك فأبى ، فقال : اجعله بعدك فأبى ، فتنكر له هشام ، وصار بعيبه وينقصه ويقصر به ، فترك الوليد دمشق وخرج مع ناس من خاصته ومواليه ، فنزل الأزرق على ماء يقال له الاغدف بالاردن ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى ، فشرّبوا يوماً فلما اخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ! قل أبياتاً ، فقال :

ألم ترَ للنجم إذ سُيِّمها يبادر في بزجه المرجعاً
تخير عن قصد مجراته أتى الغور والشمس المطلعاً
فقلت وأعجبي شأنه وقد لاح إذ لاح لي مطعمعاً :
لعل الوليد دنا منك فأسى اليه قد استجمعاً
وكنا نؤمل في ملكه كتأميل ذي الجذب أن يمرعاً
عقدنا له محكمات الامور طوعاً وكان لها موضعا

فبلغ الشعر هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه ، وأمره بإخراج عبد الصمد من عنده ، فأخرجه وقال فيه :

لقد قذفوا ابا وهب بأمر كبير بل يزيد علي الكبير

فأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير
وكتب الوليد الى هشام يعلمه باخراج عبدالصمد، وبعذر اليه مما بلغه من منادته
وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان من خاصة الوليد، فضرِب هشام ابن
سهيل وسيره، واخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالاخبار اليه، فضرِب به
ضرباً مبرحاً والبسه المسوح وقيده وحبسه، فغم ذلك الوليد وقال: «من يثق بالناس ومن
يصطنع المعروف هذا الاحول المشؤم قدمه أبي على أهل بيته فضرِبه ولي عهدته ثم يصنع
بي ما ترون، لا يعلم أن لي في أحد هوى الاعبث به، كتب الي ان اخرج عبد الصمد
فاخرجته، وكتبت اليه ان يأذن لابن سهيل في الخروج الي فضرِبه وسيره، وقد علم رأيي
فيه وعرف مكان عياض مني وانقطاعه الي وتحرمه بي وانه كاتب فضرِبه وحبسه يضارني
بذلك، اللهم اجرني منه» وقال في ذلك أبياتا اولها:

انا التذير لمسدي نعمة أبدأ الى المقاريف ما لم يجبروا الدخلا

كما انه كتب الى هشام يعاتبه ويقرعه بايات اولها:

كفرت يدا من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

ولم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام بالرصافة لست خلون من شهر ربيع
الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. فلما كانت صبيحة اليوم الذي جاء فيه البشير بالخلافة
قال لاحد اصحابه: ما أتت علي ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت علي
هموم وحدثت نفسي فيها بأمر هذا الرجل يعني هشاماً، فاركب بنا تنفس فركبنا
فسار ميلين ووقف على كتيب وجعل يشكو هشاماً اذ نظر الى رهج فقال: هؤلاء رسل
هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلا على البريد مقبلان، فلما قربا نزلا بعدوان حتى
دنوا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم، وجعل احد هما يكرر عليه السلام بالخلافة، فقال ويحك
أمات هشام؟ قال نعم، قال: فمن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبد الرحمن
صاحب دهبان الرسائل.

واظهر الوليد الشماتة بموت هشام وضيق على ولده وعياله وحشمه. قال حكم الوادي
المغني: كنا مع الوليد واتاه خبر موت هشام وهني بالخلافة واتاه القضيبي والخاتم، فامسكنا
ساعة ونظرنا اليه بعين الخلافة، فقال غنوني:

طاب هومي ولد شرب السلافه اذ اتانا نعي من بالرفاهه
 واتانا البريد بنعي هشاماً واتانا بنجام للخلافه
 فاصطبنا بخمر عانة صرفا ولهونا بقينة عزافه
 وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يفنى في هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم
 نزل نغني الى الليل .

وللوليد اشعار اخرى في الشهادة بهشام منها قوله :
 ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد طبعا
 كناه بالصاع الذي كاله وما ظلمناه به اصعبا
 وما اتينا ذلك عن بدعة احله الفرقان لي اجما
 وقوله :

هلك الأحوال المشو مٌ فقد ارسل المطر
 ثم استخلف الوليد م فقد اورق الشجر
 فاشكروا الله انه زائد كل من شكر

وكانت بيعة الوليد يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس
 وعشر ومائة ، وكان من فواتح اعماله أن اجري على زني اهل الشام وعميم وكسائم
 وامر لكل انسان منهم بخادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم وزاد
 الناس في العطاء عشرات ، ثم زاد اهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ،
 ولم يقل في شيء يسأله لا ، وفي افضاء الخلافة اليه بقول :

ألا ايها الركب الخبّون أبلغوا سلامي سكان البلاد فأسمعوا
 وقولوا اتاكم اشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وثوقعوا
 ضمنت لكم ان لم نعقني عوائق بأن سماء الضر عنكم سنقلع
 سيوشك الخاق معا وزيادة واعطية مني عليكم تبرع
 محرّمكم دهبانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهرا وتطبع

وعقد في تلك السنة البيعة من بعده لابنيه الحكم وعثمان وجعلهما وليي عهده وجعل
 الحكم مقدما ، وازداد تهاديا باللهو واللذة والركوب للصيد وشرب الخمر ومنادمة الحان

ونقربب المغنيين ، وقسا على بني عميه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك ، وامر بقتل خالد بن عبد الله القسري زعيم اليمانية بالشام ، وجعل بكره المواضع التي فيها الناس فينقل للصيد مع ندمائه فثقل ذلك على الناس وكرهته اليمانية ، وهم اعظم جند في الشام ، فضلا عن سخط بني عمه فرموه بالزندقة ، وكان اشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، واجمع على قتله جماعة من قضاة واليمانية من اهل دمشق خاصة ، واثت اليمانية يزيد ابن الوليد فارادوه على البيعة ، وكان اذ ذلك متبديبا فقبل منهم ، على كرهه من عقلاء بني مروان كمرwan بن محمد والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، فلما اجتمع ليزيد امره اقبل الى دمشق متنكرا فدخلها ليلا ، وقد بايع له اكثر اهل دمشق سرا ، ثم دخل اعوانه فظهر امره والوليد يومئذ بالأغدف من عمان ، وفادى يزيد بالناس لمقاتلة الوليد ، فلما علم الوليد بذلك قال له بعض اصحابه : سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ووجه الجنود الي يزيد فيقتل او يؤسر ، وقال بعضهم ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل ان يقاتل وبعذر والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره ، فقال له سعيد بن الوليد الكلبى : يا امير المؤمنين تدمر حصينة وبها قومي يمنعونك ، فقال : ما ارى ان تأتي تدمر واهلها بنوعامر وهم الذين خرجوا علي ، ولكن دلني على منزل حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : اكرهها ، قال : فهذا الهزيم ، قال : اكره اسمه ، قال : فهذا البخراء قصر الزمان بن بشير ، قال : ويحك ما اقبح اسماء مياهمكم ! ثم اقبل في طريق السماوة وترك الربف وهو في مائتين وقال :

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين نزع

إذا ما هم هم وأبا حدى هناساتهم حسرت لهم رأسي فلا أنقنع

وقال له بيهس بن زميل : أما إذا بيت أن تمضي الى حمص وتدمر ، فهذا الحصن البخراء فإنه حصين فانزله ، قال : إني أخاف الطاعون ، قال : الذي يراد بك أشد من الطاعون ، فنزل البخراء شرقي حمص وعلى أميال من تدمر ، وقال : أخرجوا لي سريراً ، فجلس عليه وأخرج لواء مروان بن الحكم وقال : أعلي توثب الرجال ، وأنا أثب على الاسد وأتخصر الافاعي ؟ واشتبك أصحابه وأصحاب يزيد ، ثم تفرق أصحاب الوليد عنه بمكيدة ، فثبت وقاتل قتالاً شديداً ، فسمع رجلاً يقول : اقتلوا عدو الله ، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وأحاط اعداؤه بالقصر ، فدنا من الباب فقال : أما فيكم

رجل شريف له شرف وحياء أكله ؟ فقال له بعضهم : كلني ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبة السكسكي ، قال : يا أبا السكاسك ، ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعط فقراءكم ألم أخدم زمانكم ؟ فقال : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر واستخفافك بأمر الله ، قال حسبك يا أبا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وإن في ما أحل لي لسعة عما ذكرت ، فرجع إلى الدار ، فجلس وأخذ مصحفاً وقال : يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ ، فعملوا الحائط و كان أول من علاه يزيد بن عنبة السكسكي ، فنزل إليه وسيف الوليد إلى جنبه ، فقال له : نوح سيفك ، فقال له الوليد : لو أردت السيف لكنت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يجسه وبؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة ، فضربه أحدهم على رأسه وآخر على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه من الدار ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه ولم يخرجوه ، واحتض أحدهم رأسه وخاط الضربة التي في وجهه وقدم بالرأس على يزيد ، فأمر أن ينصب على رمح ويطاف به في دمشق . وكان مقتله يوم الخميس لليلتين بقيتنا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل ست وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، ويقال إنه حمل إلى دمشق سرأ ، ودفن بها ليلاً خارج باب الفراءديس ، وحزن أهل حمص عليه حزناً شديداً ، فأغلقوا أبواب حمص وأقاموا النوايح والبواكي عليه وطلبوا بدمه ، وكان يوم مقتله في قميص قصب وسراويل وشي ، فقال إياس بن الوليد الفزاري الشاعر ، وكان من أصحابه يرثيه :

نقلب في أثوابه وكأنا نقلب منه في الدماء قضيب

ورثاه ابن ميادة .

صفتهم وأخلاقهم

الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، كان أيضاً مشرباً حمرة ربة جميلة ، من أصبح التماس وجهها وأنبلهم قد وخطه الشيب قال :

أما حاج لقلبي شجوه بعد المشيب

وكان شديد البطش طويل اصابع الرجلين من اقوى الناس جسما فكان لقوته
 يوتد له سكة حديد فيها سير ويشد السير في رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السنكة وهو
 كثير العناية بترويض جسمه فكان اذا ركب وثب على الدابة وثباً دون ان يسها
 بهدماً وقد كان يتألق بملابسه كثيراً من حيث انواعها والوانها واصنافها يحب الخبز
 والوشي والقصب والمزر كش ويميل الى الالوان المشرقة كالأحمر والأصفر ويضع على
 رأسه قانسية وشي مذهبة ويعتم بالخبز ويلبس حلل الوشي والغلائل الموردة والمطارف
 والقباء والذراعة والسر اويل والازر والاردينة والربطات ويتقلد سيفاً ويغير ثيابه في
 اليوم الواحد مراراً وكان يتطيب ويتزين بالجواهر ويغالي به فيتختم بالياقوت ويحمل
 بيده عقداً من الجواهر ويلبس عقوداً منها ويغيرها في اليوم مراراً كما يغير ثيابه .

قال حماد الراوية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخرا ، فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا
 هو على سرير ممد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء بقيشان الزعفران قيناً . وقال عطر د
 المغني : رأيت الوليد وعليه حلة وشي كانت تلتصع بالذهب التماع . وقال أبو كامل مولي
 الوليد : برز الينا الوليد وعليه غلالة موردة . وقال حكم الوادي المغني : رأيت الوليد
 وعليه دراعة وشي ويده عقد جواهر . وقال عبد الصمد الهاشمي : انما اغلى الجواهر
 بنو امية ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مراراً كما تغير
 الثياب . وكان يجمعه من كل وجه ويغالي به . وقال عمر الوادي المغني : رأيت
 الوليد بن يزيد وفي يده خاتم ياقوت احمر قد كاد البيت يلتصع من شعاعه . وذكر خمار
 في الحيرة انه رأى الوليد متاثماً بعمامة خز . ووصف الطبري الوليد حين خرج يقاتل
 اصحاب يزيد بن الوليد فقال : خرج على بردون كميث عليه قباء خز وعمامة خز محترمة
 بريطة دقيقة قد طواها وعلى كنفه ريطه صفراء فوق السيف . وروى ابن عساكر
 عن دخل على الوليد يوم مقلته انه قال : دخلت القصر فاذا الوليد قائم في قبص قصب
 وسراويل وشي : وكان الوليد معجباً بنفسه مدلاً بجماله مزهواً بشبابه ينزل بنفسه كما
 يتغزل بالفتيات الحسان ويصف حبهن له وتهافتهن عليه ، قال :

قامت الي بتقبيل تعانقي ربا العظام كأن المسك في فيها

ادخل فديتك لا يشعر بنا احد نفسي لتفكك من داء نفديها
 بثنا كذلك لا نوم غلي سرر من شدة الوجد تدنني وادنيها
 حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها حان الفراق فكاد الحزن يشجها
 ثم انصرفت ولم يشعر بنا احد والله عني بحسن الفعل يجزيها
 وقال علي لسان سلمي بنت سعيد اخت زوجته:

أقر مني على الوليد سلاما عدد النجم قل ذا للوليد
 حسدا ما حسدت اختي عليه ربنا بيننا وبين سعيد

وقال:

في فتية من بني امية اهل الجند والمآثرات والحسب
 ما في الوري مثلهم ولا بهم مثلي ولا عتم مثل ابي
 وكان منذ حدثته ميالا للهو والصيد يحب الخيل ويرتبط الكلاب كما كان
 يحب معاشره الظرفاء ومنادمة الادباء والخلعا والجنان وسماع الغناء ومجاراته اهواء
 النفس كمعاقره الخمر ومعاشره الحسان ومغازلتهم والتشبيب بهم وهو الذي يقول:
 اشهد الله والملائكة الاب رار والعابدن اهل الصلاح
 انني اشتقي السماع وشرب الكأس والعض للخدود الملاح
 والنديم الكريم والخادم الفا ره يسي علي بالاقداح
 واخبار غرامه وتهتكه وهو ولي للعهد طريفة . قال ابن عساكر في التاريخ
 الكبير: كان الوليد بن يزيد نظر الى جارية نصرانية من اهل النساء يقال لها سفري ،
 فجعل يرأسها وتأبى عليه حتى بلغه ان عميدا للنصارى قد قرب وانها ستخرج فيه مع النساء
 الى بستان حسن ، فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر اليها فتابعه وحضر الوليد
 وقد نقشف وغير حليته ودخلت سفري البستان فجعلت تمشي حتى انتهت اليه فقالت لصاحب
 البستان: من هذا؟ فقال لها رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضحكه حتى اشغف من
 النظر اليها ومن حديثها ، فقال لها صاحب البستان: وبلك اتدرين من ذلك الرجل؟
 قالت لا ، فقال لها: هو الوليد بن يزيد ، وانما نقشف حتى ينظر اليك ، فغنت اليه بعد
 ذلك ، وكانت عليه احرص منه عليها ، وقال الوليد في ذلك:

اضحى فؤادك يا وليد عميدا
من حب و اضحقا لحوارض طفلة
ما زلت ارمقها بعيني و اتمق
عود الصليب فويح نفسي من رأى
فسألت ربي أن أكون مكانه
صبا كليا للجسان صمودا
برزت لنا نحو الكنيسة عميدا
حتى بصرت بها نقبل عودا
منكم صايبا مثله معبودا
وأكون في لهب الجحيم وقودا

فلما ظهر امره وعلم الناس قال :

ألا حينما سفرى وان قبلى انى
يهون على ان نظل نهارنا
كلفت بدصرانية تشرب الخمر
الى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

واحب الوليد سلمى بنت سعيد فكانت تحتجب منه . قال صاحب الاغانى : خرج
الوليد لعله يراها فلقيه زيات مع حمار عليه زيت ، فقال له : هل لك أن تأخذ فوسى
هنا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك
وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكرا حتى دخل قصر سعيد
فنادى من يشتري الزيت ؟ فاطلع بعض الجوارى فرأينه فدخلن الى سلمى وقلن :
إن بالباب زياتا اشبه الناس بالوليد فاخرجي وانظري اليه فخرجت فرأته وراها فرجعت
المقهرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ، وقد رأيتي فقلن له : لا حاجة بنا الى زيتك
فانصرف وقال :

انني أبصرت شيخنا
ولياسى ثوب شيخ
وأبيع الزيت يباعا
حسن الوجه مبيع
من عباء ومسوح
خاسرا غير ربيع

وقال ايضاً :

فما مسك بعل بزنجيل
بأشهبى من حجارة ريق سلمى
ولا والله لا أنسى - ياتي
ولا غسل بأبان اللقاح
ولا ملاي الزقاق من القراح
وثاق الباب دوني واطراحي

وبلغ من استهتاره بحب الخمر أن ذهب من دمشق الى الجزيرة لانه بلغه خير خمار لبيق
نظيف جيد الخمر هناك ، قال ابن عساكر : حدث خمار كان بالجزيرة قال : فتحت يوماً

حانوتي فاذا فوارس ثلاثة مثلهمون بعائم خز قد اقبلوا من طريق السيادة ، و كنت
 موصوفاً بالنظافة وجودة الخمر وغسل الاواني ، فقال لي أحدهم اسقني رطاباً ، فقممت
 فغسلت يدي ، ثم نقرت الدنان فنظرت الى اصفاهما فبزاتنه واخذت قدحاً نظيفاً فملأته ثم
 اخذت مندبلاً جديداً فسقيته ، فشرب وقال : اسقني رطاباً آخر فسقيته في غير ذلك
 القدح ، واعطيته غير ذلك المندبل فشرب . وقال : بارك الله عليك فما اطيب شرابك
 وانظفك ! ما كان رأيي أن أشرب أكثر ، فلما رأيت نظافتك دعيتني نفسي الى شرب
 آخر فهاتنه ، فناواته اياه على تلك السبيل ، وولني راجعاً في الطريق الذي بدا منه ، وقال
 اعذرنا ورمي الي أحد الرجلين الذين كانوا معه بصرة فيها دنانير ، واذا هو الوليد بن
 يزيد أقبل من دمشق حتى شرب من شراب الخيرة وانصرف . وقد أنكر الانقياء
 على الوليد منذ كان ولياً للعهد هذه الاعمال ، منهم الزهري وهو من العلماء الورعين دخل
 على هشام بن عبدالمك وقدم بالوليد وعابه وقال له : يا أمير المؤمنين ما يحل لك الا خلعه
 فانفرجت الحال بينه وبين الوليد حتى برح الوليد دمشق مع خواصه الى الازرق ،
 وجعل في تلك البرية روضة انس يقصدها الظرفاء والشعراء والادباء والمغنون من
 الشام والحجاز والعراق فضلا عن الاضياف والغفاة ، قال ابن جرير الطبري : كان
 الوليد وهو ولي عهد يطعم من وفد اليه من اهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر
 عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة ايام ويعلف دوابهم وظل على تلك الحال الى أن
 توفي هشام وبوبع بالخلافة فكان شعاره قوله :

كللاني نوجاني وبشعري غنياني
 انما الكأس ربيع يتعاطى بالبنان
 وحميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

وجعل قصره جنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين استدعي اليه من جميع الاقطار
 القيان والمغنين والشعراء ورواة الشعر والادباء والظرفاء والخلماء والحمان ، ذكر ابن
 جرير الطبري ان الوليد بن يزيد كتب الي نصر بن سيار عامل خراسان بأمره أن
 يتخذ له برابط وطنابير واباربق ذهب وفضة ، وان يجمع له كل صناعة بخراسان بقدر
 عاجها وكل بازي وبرزون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه ، فلم يدع نصر بخراسان

جارية ولا عبداً ولا برذونا فارهاً الا اعده ، واشترى الف مملوك واعطاهم السلاح
وخملهم على الخيل وأعد خمس مائة وصيفة وامر بصنعة اباريق الذهب والفضة وتمائيل
الظباء ورؤوس السباع والأيايل وغير ذلك ، فلما فرغ من ذلك كله كتب اليه الوليد
يستحبه فسرّح الهدايا حتى بلغ اوائلها يبهق ، فقال بعض شعرائهم في ذلك :

ابشر يا أمين الله ابشر بتباشير
بأيل يُحمل المالُ عايشا كالانا بئر
بفصال تحمل الخمر حقائبها طنابير
ودل البريريات بصوت الهم والوزير
وقرع الدف احيانا ونفخ بالزامير
فهذا لك في الدنيا وفي الجنة تحبير

قال صاحب الاغاني : لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالفناء والشراب والصيد ، وحمل
المغنين من المدينة وغيرها اليه ، وارسل الى اشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد
قرد له ذنب وقال : ارقص وغنّني شعراً يعجبني . فان فعلت فلك الف درهم ، فغناه
فأعجبه فأعطاه الف درهم .

واجتمع عنده من المغنين معبد وابن عائشة وابن سربج والغريص ومالك بن
ابي السدح وعمر الوادي وحكم الوادي وابو كامل وخالد صامة والهدلي وهونس
الكاتب واسماعيل بن الهريذ وعطرذ والابجر ودحمان وغيرهم .
ومن الشعراء طريح بن اسماعيل الثقفي وابن ميادة والحسين بن مطير الاسدي
واسماعيل بن يسار ويزيد بن ضبة وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ومروان بن ابي
حفصة والقاسم بن الطوبيل العبادي وغيرهم .

واستدعى من الندماء الحنان شراة بن الزندبود ومطيع بن اياس الكناني وحماد عجرد
والمطيعي المغني . قال صاحب الاغاني : بعث الوليد بن يزيد الى شراة بن الزندبود ،
فلما قدم عليه قال : يا شراة اني لم استحضرك لاسألك عن العلم ولا لأستفتيك في
الفقه ، ولا لتحدثني ولا لتقرئي القرآن ، قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً ،
فقال : كيف غامك بالفتوة ؟ قال : ابن يجديتها وعلي الخبير بها صغطت ، فسل عما

شئت ، قال : فكيف علمك بالاشربة ؟ قال ليسأني أمير المؤمنين عما أحب ، قال
فما قولك في الماء ؟ قال هي الحياة وبشر كني فيه الحمار ، قال : فاللبن ، قال ما رأيت
قط الا ذكرت أمي فاستجيت ، قال : فالحمر ، قال : تلك السارة البارة وشراب أهل
الجنة ، قال : لله درك ! فأني شيء أحسن ما يشرب عليه ، قال : عجبت لمن قدر أن
يشرب على وجه الماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئاً .
وقال لمطيع بن اياس : اي الاشياء اطيب عندك ؟ قال صباء صافية تمزجها
غانية بماء غادبة ، قال : صدقت . واستدعى أيضاً حماد الراوية ليروي له شعر العرب .
هذه المجموعة النادرة من ذوي الأدب والفن والمواهب كانت نعمة مجالسه وفيهم
يقول :

سقيت أبا كامل من الأصفر الباهلي
وسقيتها معبداً وكل فتى فاضل
لي المحض من ودهم وبغمرهم نائي
فما لاني فيهم سوى حاسد جاهل

اضف الى هؤلاء باقة من محسنات القيان وحسان الوصائف تنفت السحر في أرجاء
تلك المجالس . قال حماد الراوية : دعاني الوليد يوماً من الايام في السحر ، والقمر
طالع ، وعنده جماعة من ندمائه ، وقد اصطحب ، فقال : أنشدني السيب فأنشدته
أشعاراً كثيرة فلم يهش لشيء منها حتى أنشدته قول عدي بن زيد :
أصبح القوم قهوةً في الأباريق تحتدي
من كحيت مدامة حبذا تلك حبذا !

فطرب ثم رفع رأسه الى خادم ، وكان قائماً كأنه الشمس ، فأومأ اليه فكشف سترا
خلف ظهره فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفة كأنهم اللؤلؤ المنثور في ابديهم الاباريق
والمناديل ، فقال اسقوهم فمابقي احد الاسقي ، وأنا في خلال ذلك أنشد الشعر ، فلما زال
يشرب وهبتي الى طلوع الفجر ، ثم لم يخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البسط
فالقونا في دار الضيافة فما أفتنا حتى طلعت الشمس . وقال صاحب الاغانى أيضاً :
اشتاق الوليد بن يزيد الى معبد فوجه اليه الى المدينة فأحضر ، وبلغ الوليد قدومه

فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ليس معها ثالث ، وجيء بمعبد فرأى سترًا مسخي ومجلس رجل واحد ، فقال له الحجاب : يا معبد سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ، فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له حياك الله يا معبد ، أتدري لم وجهت اليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتك فاحببت أن أسمع منك ، قال معبد : أغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال بل غني :

ما زال بعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وزيب الدهر عدا
فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ، ثم خرج الوليد فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها فاستقبله الجواري بشباب غير الشباب الأولى ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم قال له غني يا معبد :

يا ربع مالك لا تجيب متبا قد عاج نحوك زائرًا ومسلما
جادتك كل سحابة هطالة حتى ترى عن زهره متبسما
لو كنت تدري من دعاك اجبته وبكيت من حرق عليه اذا دما

فغناه ، وأقبل الجواري يرفعن الستر ، وخرج الوليد فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس ثيابا غير تلك ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم قال له غني :

عجبت لما رأيتني اندب الربع المحيلا
واقفا في الدار ابكي لا أرى الا الطلولا
كيف تبكي لاناس لا يملون الدمिला
كما قلت : اطمانت دارهم ، قالوا : الرحىلا

فلما غناه رمى نفسه في البركة ، ثم خرج فردوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبدًا ثم أقبل عليه الوليد فقال : يا معبد من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكنتم استمرارهم . وقد يغلب عليه الجحون فيسري باصحابه الى حيث بطيب لهم التصابي والغناء والخمر قال :

حبذا ليلتي بدير يونا حيث نسقي شرابنا ونغني
كيف مادارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا
ومررنا بنسوة عطرات وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفة الله فطرو س مجونا والمستشار يُجنا

وكثيراً ما ترك دمشق الى اطراف البادية ونقل معه تلك المجموعة الفنية ، فكانت
في البادية مدينة فن وجمال وسحر وشعر ، وهو يلهو ويصطاد ويعقد مجالس الانس
والشراب والفناء قال :

ولقد قضيت وإن تجلل لمتي شيب على رغم العدى لذاتي
من كعبات كالدُّمى ونواصفٍ ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوان وجوههم شمّ الانوف ججاجح سادات
ان يطلبوا بتراتهم يُعطوا بها أو يطلّبوا بالأبدر كوابثرات

وقال :

أصبح اليوم وليد هائما بالفتيات
عنده راح وابو بق وكاس بالفلاة
ابعثوا خيلاً خليلٍ ورماةً لرماة

قال حماد الراوية يصف مجلساً من مجالسه في اطراف البادية : انتهيت الى الوليد
وهو بالبخراء ، فاستأذنت عليه فاذن لي ، فاذا هو على سرير ممدد وعليه ثوبان اصفران
ازار ورداء بقيثان الزعفران قيئاً ، واذا عنده معبد ومالك بن ابي السمح وأبو كامل
مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ثم قال لي انشدني :

امن المنون وريبها تشوجع

فانشدته حتى اتيت على آخرها ، فقال لساقيه : يا سبرة اسقه ، فسقاني ثلاثة اكؤس

خثرن ما بين الذؤابة والنمل ، ثم قال يا مالك غني :

الا هل هاجك الاظعا ن اذ جاوزن مطّماحا

ففعل ثم قال له غني :

جلا أمية عني كل مظلمة سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا :

ففعل ثم قال له غنني :

اتنسى إذ تودعنا سليحي بفرع بشامة سقي البشام
ففعل ، ثم قال له ياسبرة أو يا أبا سبرة اسقني . . . فأناه بقدرح معوج فسقاه به
عشرين ، ثم أتاه الخاحب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين الرجل الذي طلبت بالباب ،
قال أدخله ، فدخل شاب لم أر شاباً أحسن وجهاً منه في رجله بعض الفدح فقال ياسبرة
اسقه فسقاه كأساً ، ثم قال له غنني :

وهي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

فغناه فنبد إليه الثوبين ، ثم قال له غنني :

طاف الخيال فرحياً الفأ برؤية زينبا

فغضب معيد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا مقبلون عليك بأقدرنا واسناننا ،
وانت تركتنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي ، فقال والله يا أبا عباد ما جهلت
قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه . قال
حماد الراوية فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة . وأفرط الوليد في الخلاعة والمجون
والشراب حتى بولغ عنه في ذلك ، فروي أنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا غناه
المغنون وشاعت به نشوة الكأس والطرب التي نفسه في البركة ، وكان معه من
المغنين يوم قتل ابن عائشة ومالك بن أبي السمع .

أدبه وثقافته

لا نعرف من مؤدبي الوليد غير عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ويزيد بن أبي
مساحق السليحي وكلاهما أدب شاعر ، ولكن الأول بتهم بالخلاعة والمجون ويرمى
بالزندقة ويقال إنه هو الذي أغرى الوليد بالتهتك والمجون ، أما الثاني فقد كان متصوناً
بعيداً عما يرمى به عبد الصمد ولكنه لم يحظ عند الوليد كما حظي عبد الصمد الذي
كان يرى فيه الوليد مؤدباً وندماً .

يظهر في شعر الوليد أثر من الثقافة الإسلامية كذكر القرآن وبعض الأحكام
الشرعية كاللحلال والحرام والبدعة ، قال بذكر القرآن في أرجوزة جعلها خطبة في

احدى الجمع ، وفيها مواضع ونصائح كثيرة :

ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
وقال من أبيات :

وما أتينا ذلك عن بدعة أحله الفرقان لي أجمعا

وقد روى الوليد الحديث ، ولكن يظهر أن الناس تركوا الرواية عنه لخلاعه
وتهمته . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير : « ومن يحدث من بني أمية الوليد بن
يزيد ، ولم تقع له إينارواية » .

وكان معدوداً من الخطباء الفصحاء ، يخطب الناس في الجامع الأموي في الجمع
والعيدين . قال الهيثم بن عمران : لما بوبع الوليد سمعته على المنبر بدمشق يقول :

ضمنت لكم إن لم ترعني منيتي بأن سماء الضمر عنكم ستقلع
وقال صاحب الأغاني : قيل للوليد : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لأخطبهم
اليوم بشعر ، فصعد المنبر ، فخطب فقال :

الحمد لله ولي الحمد أحمدوه في يسرنا والحمد
وأتم الأرجوزة .

وحفظ من كلامه قوله لهشام يوم توفي مسلمة بن عبد الملك : « يا أمير المؤمنين !
إن عقبي من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الضيدان رمي ، واختل
الشعر فوهي ، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ، فتزودوا فإن خير الزاد
الثقوى » . ومن كلامه الفصيح قوله : « إن النعمة إذا طالت بالعيد ممتدة أبطرته
فأساء حمل الكرامة ، واستقل العافية ، ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبينه
ورهيطة وعشيرته ، فإذا نزلت به الغير ، وانكشفت عنه عمابة الغي والسلطان ، ذل
منقاداً ، وتدم حسيراً ، وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهر آله » .

وقوله : « يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم
المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل فعل السكر ، فإن كنتم لا تبدوا فاعلمين فخبوه
النساء ، فإن الغناء رقية الزنا ، أقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة ،
وأشهي إلي من الماء الى ذي غلة ، ولكن الحق أحق أن يقال » .

وقيل له لما غلبت عليه لذاته : يا أمير المؤمنين ! إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، فقال : « ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وأزمنناه من مفروض ذمامها ، أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؟ وإنما لنا ما نحن فيه بسط لنا في النعمة ، ويمكن لنا في المكرمة ، وأزكى لنا في الأمة ، ومد لنا في الحرمة ، فإن تركت ما به وسع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنت أنا المزهل لنعمتي بما لا ينال الرعية ضرره ، ولا يؤذيها ثقله . باحجب لا تأذن لأحد في الكلام » .

لم يكن الوليد محدثاً ولا فقيهاً ولا إخبارياً ، ولكنه كان شاعراً أدبياً ظريفاً ، وفصيحاً حاضر الجواب ، كما كان مشغوقاً بالغناء ، عارفاً به وبآلاته . قال صاحب الأغاني : ومن غنى من الخلفاء الوليد بن يزيد ، وله أصوات صنعها مشهورة ، وقد كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدّف ، على مذهب أهل الحجاز . قال خالد صامة المغني : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :

« أراني الله يا سلمي حياتي »

وهو يشرب حتى سكر ، ثم قال لي : هاتِ العود ، فدفعته إليه ، فغناه أحسن غناء ، فنفست عليه إحسانه ، ودعوت بطبل ، فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل ، فجعل يوقع به أحسن إيقاع ، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر ، فقلت : يا سيدي ! كيف أرى أنك تأخذ عنا ، ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك ؟ فقال : امسكت وبلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمت حياً لا أقتلنك . فوالله ما حكيمته عنه حتى قتل .

وقال صاحب الأغاني : لما قدم الوليد بن يزيد مكة ، سأل عن أحسن الناس غناءً وحكاية لابن سريج ، فقيل له : يحيى مولى العبلات المعروف بقيل ، فدعاه وقال له : امش لي بالدف ففعل ، ثم قال له : هاته حتى أمشي به فإن أخطأت فقومني ، فمشى به أحسن من مشية قيل ، فقال له : جعلت فداك ! ائذن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك .

ومن مشهور صنمته في شعره قوله :

وصفراء في الكأس كالزعفران سبأها المتجيبى من عسقلان
 تريك القذاة وعرض الإنا ء ستر لها دون لمس البنان
 وقال عمر الوادي : دخلت على الوليد وعنده أصحابه وقد نغدى وهو يشرب ،
 فقال لي : اشرب ! فشربت ، وطرب وغنى صوتاً واحداً ، وأخذ دفاقةً فدفف بها
 فأخذ كل واحد منا دفاقةً يدفف بها ،
 وبلغ من حب الوليد للأدب والأدباء والرواة أن استدعاهم من كل طرف ،
 وأغدق عليهم العطايا كحماد الراوية وحماد عجرد . قال حماد الراوية استدعاني
 الوليد بن يزيد وأمر لي بالفين لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدمت عليه ، فلما دخلت
 داره ، قال لي الخدم : أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلمت بانخلافه ، فقال
 لي : يا حماد ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : « ثم ناروا » ، فلم أدر ما يعني ،
 قال : ويحك يا حماد ! « ثم ناروا » ، فقلت في نفسي : راوية أهل العراق لا يدري عما
 يسأل ، ثم انتهت ، فقلت :

ثم ناروا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق
 قدمته على عقار كعين الد بك صفى سلافها الراوق
 ثم فض الخثام عن صاحب الدن وقامت لدى اليهودي سوق
 فسبأها منه أشم عزيز أريحي غذاه عيش رفيق
 الشعر لعدي زيد . قال : فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في
 يدها قدح والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح ، فقال : رديه ، فما
 أنصاه ، نغدينا ولم نغده ، وحضر أبو كامل مولاه فغناه :

أدر الكأس يميناً لا تديرها ليسار
 فطرب ، وبرز إلينا وعليه غلالة موردة ، وشرب حتى سكر ، فأقامت عنده
 مدة ، ثم أذن بالانصراف ، وكتب لي الى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .
 وكان يستدعي المنجمين أيضاً ، قال حماد الراوية كنت عند الوليد يوماً فدخل
 عليه رجلان كانا منجدين فقالا نظرنا فيما أمرتنا به فوجدناك تملك سبع سنين مؤبدا
 منصورا يستقيم لك الناس وينجي لك الخراج . فاغتنمتها وأردت ان أخدعه كما خدعاه

فقلت يا أمير المؤمنين كذبنا نحن اعلم بالرواية والاثار وضروب العلوم منهما وقد نظرنا في هذا ونظر الناس فيه قديما فوجدناك تملك أربعين سنة في الحال التي وصفا فأطرق الوليد ثم رفع رأسه الي فقال لا ما قال هذان بكسرني ولا ما قلت يغرنني والله لاجبين هذا المال من حله جباية من يعيش الأبد ولأصرفنه في حقه صرف من يموت في غد .

وكان الوليد مع شعره وأدبه وفصاحته ذكي القلب حاضر الجواب قال له يوماً العباس بن الوليد بن عبد الملك في مجلس هشام كيف حبك يا وليد للروميات فان أباك كان بهن مشغوفاً قال اني لاحبهن وكيف لا احبهن ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهجين مثلك وكانت أم العباس روميه .

مجنونه وخلعاءه ورميه بالزندقة

الوليد ما جن خليع تهتك وقد مضى في فصل اخلاقه وصفته ذكر لهوه وعيشه . ولكن اخبار مجونه مبالغ فيها لان للسياسة بدا في تعظيمها وذلك أن خصومه الذين ناروا عليه وخلصوه وقتلوه نسبوا اليه كل نقيصة ونخلوه من الشعر ما هو غاية في الفجور والشعر وسقوط المروءة والاحاد مما لا يمكن أن يصدر عن فتى نبيل وخليفة ابن خلفاء ، على أنه مهما تثبت الانسان في اخبار مجون الوليد وشك في بعضها فانه لا يستطيع أن ينفي عنه اللهو والخلاعة والتهتك فقد استقدم الحبان والخلعاء حين ولي الخلافة من جميع الأطراف كاشعب وحماد عجرد ومطيع بن إياس والمطيري وكان يفرط في الخمر حتى قيل إنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا طرب رمى بنفسه بها وقد غاظت هذه الاعمال مؤدبه يزيد بن أبي مساحق السلمي فبعث اليه بقوله :

مضى خلفاء بالأمر الحميد وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته باهو وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب اليه الوليد :

لنت حظي اليوم من كل معاش لي وزاد
قهوة أبذل فيها طارفي ثم تلادي

فيظل القلب منها هائبا في كل واد
ان في ذلك صلاحه وفلاحه ورشاده

ورموه بالاحاد وأتهموه بالزندقة ونخلوه ابياتا في ذلك لا تجمل روايتها وقال بعضهم بل كان مانويا وزعم أنه رأى تمثال ماني عنده الى غير ذلك من التهم التي تهر خلع خليفة وقتله وقد نفي عنه بعضهم كل ذلك . وهناك حادثتان يمكن أن يستأنس بهما الباحث في بعد الوليد عن الاحاد والزندقة أولاها أن اسم احد ابناء الوليد مؤمن والوالد عادة لا يدعو ابنه الا باحب الاسماء اليه فكيف بسمي الملحد أو الزنديق ابنه مؤمنا . والثانية هي أن الوليد على كرهه لهشام وأعمال هشام كان يصوبه في نفي القدرية والقدرية من الفرق الاسلامية التي نجمت في أيام بني أمية فإذا كان الوليد يتخرج من وجود القدرية في دمشق فكيف يرضي لنفسه أن يكون زنديقا . قال الطبري قال عمرو بن شراحيل سيرنا هشام بن عبد الملك الى دهلك فلم نزل بها حتى مات هشام واستخلف الوليد فكلم فينا فإبى وقال والله ما عمل هشام عملا ارجى له عندي أن تناله المغفرة من قتله القدرية وتسييره إياهم .

شعره

ابرز صفة في الوليد الشعر فهو في شعره اعظم منه في خلافته ولو لم يكن شاعرا لما استحق تلك العناية من الادباء والمؤرخين لأنه لم يكن باخليفة العظيم ولا اشتهر بشيء مما اشتهر به اسلافه الخلفاء كدهاء معاوية وحزم عبد الملك وعدل عمر بن عبد العزيز فالشعر وحده هو الذي احيا ذكره بالرغم من ضياع أكثره وتشيت ما بقي منه موزعا في كتب الادب . وتلك البقية من شعره يسيرة لا تتجاوز ثلاثين صفحة ومعانيها شخصية تترجم عن نفس الوليد في عبثها ولهوها وتبذلها وزهوها وغضبها وحزنها ويمكن اجمالها بالغزل ووصف الخمر والعناب، والفخر والرثاء والهجاء ونظم بعض الجوادث كعهد البيعة لولديه وخطبة الجمعة .

ومهما تبذل الوليد في بعض معانيه وغلبه المحزون فان سمعة الذبل تلوح على شعره من
خيث يريد ولا يريد كقوله :

كللاني توجاني وبشعري غنياني

و كقوله :

في فتية من بني أمية أهل المجد والمآثرات والحسب

ما في الوري مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتم لمثل أبي

قال المأمون لجاسائه أنشدوني بيتا ملك يدل البيت وان لم يعرف قائله أنه شعر
ملك فأنشده بعضهم قول اسري القيس

أمن أجل أعرابية حل أهلا جنوب الملا عيناك تبشدران

قال وما في هذا مما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه
يؤنب نفسه على التعلق بأعرابية . ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول
الوليد :

اسقني من سلاف ربق سليحي واسق هذا النديم كأسا عقارا

أما ترى الى اشارته في قوله هذا النديم وانها اشارة ملك ومثل قوله :

لي المحض من ودم ويغمرهم نائي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال ليبتذل المعروف لهم ويمكنه

استخلاصها لنفسه .

كان الوليد شاعراً مطبوعاً يحب الرقة والهليلة حتى نفضيا به سيف أكثر شعره الى
اللين ، وذلك لأنه نشأ في نعيم الحاضرة وقصور الخلافة ، ولأنه مطبوع لا يتكلف
ولا يبالي ما يقول ، ولأنه غزل ماجن ، يتكلم بلسان الخلفاء ، ويصور دلال
النساء . واللين في الشعر درجة بين السهل العذب الرقيق ، والسفساف المبتذل الركيك ،
عرف به بعض شعراء الحواضر في الجاهلية والإسلام ، مثل عدية بن زيد العبادي
من أهل الحيرة في الجاهلية ، وأميرة بن أبي الصلت الشقفي من أهل الطائف وهو جاهلي
أدرك الإسلام . أما الشعراء الإسلاميون الذين يلوح على شعرهم أثر اللين فأشهرهم :
عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، والعرجي ، وابن قيس الرقيات ، والوليد بن يزيد ،

وكلهم قرشون حضرون غزلون • ولقائل ان يقول : ما بال اللين يكون في شعر
الحضرين في الجاهلية والعصر الاموي ، ولا يطرد هذا القياس في الشعراء المولدين
الذين هم أعرق في الحضارة ؟ والجواب على ذلك : أن المولدين اتقوا اللين بالدرس
والرواية ، وأخذ النفس باصطناع الجزالة ؛ أما أولئك فقد كانوا يزولون أنفسهم
على سجيتها •

وهكذا ، فأكثر شعر الوليد لين كقوله :

شاع شعري في سلمي واشتهر ورواه الناس بادر وحضر
وتهادته العذارى بينها ونغنين به حتي اشتهر
لو رأينا لسلمي أثراً لسجدنا ألف ألف للآثر
واتخذناها إماماً مرثضي ولكانت حجنا والمعتمر
وقد يبلغ به اللين الي التبذل والركاكة كقوله :

خبروني أن سلمي خرجت يوم المصلي
فإذا طير مليح فوق غصن بتغلي
قلت من يعرف سلمي قال ها ثم تعلي
قلت يا طير أدن مني قال ها ثم تدلي
قلت هل أبصرت سلمي قال لا ! ثم تولي
فنكا في القلب كما باظناً ثم تعلي

وهو كما يجب فرض هذا النوع من الشعر يجب أن يسمع من شعر الشعراء ما كان
مثله • قال حماد الراوية : دخلت يوماً على الوليد ، فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من
شعر أهل الجاهلية والإسلام ، فما هسّ لشيء منه حتى أخذت في السخف ، فأنشدته
لهار ذي كنان :

حبذا انت يا سلا مة الفين حبذا
ثم ألفين مضعفين وألفين هكذا
في صميم الأحشاء مني وفي القلب قد حذا
حدوة من صباية تركته مفلدا

أشتهي منك منك : ك مكاناً يجنب ذا
فضحك حتى استلقي ، وطرب وصفق ببديه ورجليه وأمر بالشراب فشرب وجعل
يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة .
وكان يستحسن شعر عدي بن زيد وعمر بن أبي ربيعة كثيراً قال حماد الراوية
استنشدني الوليد بن يزيد فأنشدته نحواً من ألف قصيدة فما استعادني الا قصيدة عمر بن
أبي ربيعة :

طال ليلي وتعناني الطرب واعتراني طول هم ووصب
كما كان يطرب للسبيل الحضري الرقيق من شعر بشار بن برد ؛ فقد روي أنه
لما أنشد قول بشار :

أيها الساقيات صبا شرابي واسقياني من ربق بيضاء رود
إن دائي الظما وإن دوائي شربة من رضاب ثغر برود
طرب وقال من لي بمزاج كأسه هذه من ربق سلمي فيزوي ظمئي وتطفأ غلتي ثم
بكي حتى مزج كأسه بدمعه وقال إن فاتنا ذاك فهذا .
كل ذلك يدل على مذهبه وطبعه في السهولة واللين . على أن له من الجزل ما ينبئك
على أنه قادر عليه لو حاوله ولكن حين يجد أو يغضب ، ففخره وعتابه جزل رصين يحاكي
شعر الفحول كقوله يعاتب هشاماً :

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبوالناس والأحوال بعدي
فنندم في الذي فرطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي
وكقوله يفتخر على هشام :

أنا الوليد أبو العباس قد علمت عليا معد مدى كربي وإقدامي
إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
بني لي المجد بان لم يكن وكلا على منار مضئبات وأعلام
حلت من جوهر الأعياض قد علموا في باذخ مشمخر العز قمام
صعب المرام يسامي النجم مطلعه يسحو إلى فروع طود شامخ سامي

و كقوله حين نار الناس :

إذا لم يكن خيره مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفرع
و كانوا إذا دموا بأحدى هياتهم حسرت لهم رأسي فلا أنقع
وشعره بجماته مقطعات وأبيات ولا تكاد تجد له قصيدة طوبلة .

غزله

ظهر في العصر الأموي طائفة من الشعراء جعلوا الغزل فنهم ؛ أو عنواناً به أكثر
من بقية فنون الشعر كجميل بن معمر العذري وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي وقيس
ابن ذريح وعمر بن أبي ربيعة والأحوص بن محمد والعرجي وابن قيس الرقيات ، منهم من
كان غزله بريئاً عفيفاً ومنهم من غلب عليه اللهو والعبث والتبتهك ؛ أما غزل الوليد فقد
كان من غزل الجحان الخلاء الذين ظهروا في أواخر عصر بني أمية كطبيع بن إياس وعمار
ذي كزاز ووالبة بن الحباب ، وغزل هؤلاء يفترق عن غزل من تقدمهم بذكر الخمر والحانات
وباعتبار الحب شراهة نفسانية وبتصوير مواقف الغرام تصويراً أقرب إلى الفجور والتبتهك ،
فهو بالجون أشبه منه بالغزل . وغزل الوليد من هذا النوع منه الرقيق ومنه اللين ومنه
الفسفاس ويندر فيه الجزل والسكنه في كل أنواعه صورة صادقة عن نفس الوليد الماجنة
الشبهة الوثابة لا يتصنع ولا يتكلف ولا يبالي بل يرسله كما يجيش به صدره وهو قليل
الصنعة واضح المعاني يلتبس بالثر لولا الوزن والقافية .

ولعل الوليد لم يُخلص في حبه إلا لسلمي بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن
عفان فلقد لحما في بيت أبيها وهو شاب فأحبها حباً شديداً بل جن بها جنوناً وطلبها فلم
تجبه فبقي يلوب عايتها أكثر من عشرين سنة يحتمل لينظر إليها خلصة كأن يجعل نفسه
زياتاً وبقف على بابها وينادي على الزيت لعله ينعم منها بنظرة . ولقد قال فيها كثيراً
من الغزل وغزله فيها مجموعة تريك نفس الحب في شتى أطوارها فتارة يناشدها الحب
والقراية كقوله :

يا سليمي يا سليمي كنت للقلب عذاباً

يا سليمي ابنة عمي برد في الليل وطابا

أيا واشِ نوثي بي فاملئي فاه ترابا
ريقهافي الصبح مسك باشر العذب الرضايا

واخرى يستلين قلبها بما يلاقيه من الوجد والهيام :

أراني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراك
ألا تجزين من تيمت عصرأ ومن لو تطلبين لقد فضاك
ومن لو مت مات - ولا تموتي - ولو أنسي له أجل بكاك
ومن حقا لو اعطي ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتا إذا ذاق الممات وما عصاك
اثبي عاشقا ككفا معنى إذا خدرت له رجل دعاك

وطورا يستعذب ما يلاقيه في حبه من المشاق :

لا أسأل الله تغيرا لما صنعت نامت وقد أسهرت عيني عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

وطورا يضيق بتسمنها ذرعا فيسب أباه :

وقالت عند هجوتنا أباه أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيختي وعندك خلة تبغي هواها
فإن رضيت فذاك وإن تمادت فبهها خطة بلغت مداها
ثم يستغفرها ويتموت اليها :

غضبت سلمى علينا سفاها أن سببت اليوم فيها أباه
كان حق العتب يا قوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فأئن كنت أردت بقلبي لأبي سلمى خلاف هواها
فشكت اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضي معا وسماه
غير أني لأظن عدوا قد أتاه كاشحا فأذاها
فلها العتبي لدبنا وقلت أبدا حتى أنالك رضاها

وأحيانا بلاغيها كما تلامي الام طفلها :

سلمي ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت

فقبلك ألفين وفسدت وحييت
ولا شك في أن حبه لسلمي رقق من عواطفه وأصلح من غزله ما ألح عليه الجون
ونفخ فيه روح المحبين ورفقتهم ، قال صاحب الأغاني : خرج الوليد بتصيد ذات يوم
فصادت كلابه غزالاً فأتى به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمي ثم
أنشأ يقول :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فإذا شبك ما نكره حين أزجي طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حكم فاعلمي ذلك لقد كان انذبح
أنت يا ظبي طليق آمن فاغد في الغزلان مسروراً وروح

ولقد ظلت سلمى هذه ممنوعة عليه أكثر من عشرين سنة حتى بوبع بالخلافة
فأسلس له قيادها كأنها أرادت أن تكون أميرة المؤمنين فيقال إنه تزوجها ولكنها لم
تتمكث عنده إلا قليلاً وعاجلها الموت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها .

وصف الخمر

لم يجود الوليد في فن من فنون الشعر كما جود في وصف الخمر فما بقي من أشعاره في
هذا الباب على قاتله أحسن من سائر شعره ، والوليد يمثل طوراً من أطوار الشعر العربي في
صفة الخمر لأن شعراء الجاهلية وإن وصفوها لم يتعدوا أثر نشوتها في الشارب وما تبعته
في النفس من الأريحية مع الملام بلونها ورائحتها على سبيل الإيجاز . أما الشعراء
الإسلاميون فقد سكت أكثرهم عنها تحرجاً وتأثماً ومن ذكرها عنهم أو من النصارى
كألا خطل تناول وصفها على الأسلوب الجاهلي المجلل والغريب أن الشعراء الغزلين في
العصر الأموي كعمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وغيرهما تحرجوا عن وصفها .
أما الوليد فقد وصف الخمر ونشوتها وصفاء لونها ورقة جوهرها ورائحتها وبريقها في
الكأس صرفاً ومزوجة وشبهها بالقبس والشرر والذهب ووصف دنانها وزقاقها وجرارها
وشبه جيبها بلعمة البرق ووصف مجالس الشرب والغناء وما يكون فيها من المجون
والعردة في القصور والرياض والديرة قال :

اصدع نجبي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش في غضارته لا تقف منه آتار معتقب
من قهوة زائها نقادها فهي عجوز نعلو على الحقب
أشهى إلي الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كانها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرئقب

وقال :

وصفراء في الكأس كالزعفران سبها انتجبي من عسقلان
تربك القذاة وعرض الأنا سترها دون لمس البنان
لها حبيب كما صفقت تراها كلمة برق بيان

وقال :

عللاني واسقياني من شراب اصبهاني
إن في الكأس لمسكاً أو بكفي من سقاني
إنما الكأس ربيع بتعاطي بالبنان
وحميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

وهكذا فقد نقل الوليد هذا الفن من الشعر العربي من حظيرته الضيقة إلى هذا الميدان الواسع الذي رتع به الشعراء من بعده كإبي نواس والحسين بن الضحاك الخليل وغيرهما من أمعن في وصف الخمر . ويقول صاحب الاغاني إن كل من وصف الخمر بعد الوليد عيال عليه مستمد منه مستعين بمعانيه قال : « وللوليد أشعار جياذ فمنها وهو ما برز فيه وجوده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر :

اصدع نجبي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب

وقال : « وللوليد في ذكر الخمر وصفها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره

فكررها في عدة مواضع . منه ولولا كراهة التطويل لذكرتها ههنا على أنها تنبيء عن نفسها «

خاتمة

شعر الوليد من الشعر الوجداني المعبر عن شعور قائله يمتاز بمدق اللمحة والصرامة وعدم التضنع في معانيه وألفاظه ، قصره على نفسه فافتخر ونزل وعاتب ووصف الخمر ورثي وهجا ولكنه لم يمدح أحداً ولم يرث إلا من أحب من أصفياه وأقاربه وأحبابه . وأكثر شعره في الغزل والمجون والخمر حيث يرسل نفسه على سجيتهما فيرق ويعذب ويسهل ويلين ويعبت ويمزح فيكون ظريفاً فكها . أما في بقية الفنون التي نظم بها فهو أجزل سبكاً وأمتن رصفاً وأحكم قافية لبعدها عن مواطن التبذل والمجون ففي الرثاء مثلاً تراه عميق الحزن قليل الجلد كثير الجزع لأنه لم يرث إلا أحبابه وأقاربه كقوله يرثي ابنه مؤمناً :

فقلت له إني إلى الله راجع
هبلت وشلت من يدبك الأصابع
فكيف بما تحنى عليه الأضالع

أتاني سنات بالوداع لمؤمن
ألا أيها الحائي عليه ترابه
بقولون لا تجزع وأظهر جلادة

و كقوله يرثي سلمى بنت سعيد :

أفنانها دانت جناها موضع
تحليل موضعها ولما يهجعوا
نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

ياسلم كنت كجنة قد أطمعت
أربابها شققا عليها نومهم
حتى إذا فسخ الريع ظنونهم

وقوله :

مضمنة من الصحراء لحدا
بها حسباً ومكرمة ومجدا
شعاع الشمس أهل أن يفدى
وأكثر جازعاً وأجل فقدا

أما نعلما سلمى أقامت
لعمرك يا وليد لقد أجنوا
ووجهاً كان يقصر عن مداه
فلم أر ميتاً أبكى لعين

و كذلك في العتاب فإنه يشتد أسره لأنه جاد مغيظ يعاتب الخليفة الذي حاول أن

يخلعه من ولاية العهد فتري الأسي والغضب والاستعفاف والتقريع واللين والشاس مع
بعضها في عتابه كقوله :

أليس عظيماً أن أرى كل وارد
فارجع محمود الرجاء مصرداً
فأصبحت مما كنت آمل منكم
مقتبض يوماً على عرض هبوة
وحياضك يوماً صادراً بالنوافل
بتحلثة عن ورد تلك المناهل
وليس بلاق ما رجا كل آمل
يشد عليها كفه بالأناهل
وكقوله :

فإن تك قد مللت القرب مني
وسوف تلوم نفسك إن بقينا
وتندم في الذي فرطت فيه
وكقوله :

كفرت بدأ من منعم لو شكرتها
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي
أراك على الباقيين تجني ضغينة
كأنني بهم يوماً وأكثر قولهم
وكقوله :

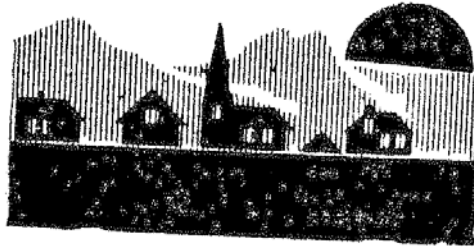
أنا النذير لمسدي نعمة أبدا
إن أنت أكرمتهم ألفتهم بطروا
انشمخون ومنا رأس نعمتكم
انظر فإن أنت لم تقدر على مثل
بيننا يسمنه للصيد صاحبه
عدا عليه فلم تضرره عدوته
إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
وإن أهنتمهم ألفتهم ذللا
ستعلمون إذا أبصرتم الدولا
لم يرى الكلب فاضر به لهم مثلاً
حتى إذا ما استوى من بعد ما هزل
ولو أطاق له أكلاً لقد أكل

وهكذا فان عتابه من حر الشعر وجيده .

وهو من أجزل ما يكون إذا افنخر وسما برأسه إلى آبائه خلفاء الإسلام وأشياخ
الجاهلية وشموس العرب كقوله :

انا الوليد أبو العباس قد علمت
 عليا معد مدى كروي وإقدامي
 اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا
 مقابل بين أخوالي وأعمامي
 بتي لي المجد بان لم يكن وكلا
 علي منار مضيئات وأعلام
 حملت من جوهر الاعياض قد علموا
 في باذخ مشمخر العز فمقام
 صعب المرام يسامي النجم مطلعته
 يسموالي فرع طود شامخ سامي
 وما عدا ذلك من المعاني التي تعالجها كشمائته بموت هشام وهجائه فقليل لا يعتد به
 ولا يخرج عن أسلوبه في الصراحة والسهولة

خليل مردم بك



ديوان

الأميرة بنت خالد

صرف الالف

١

على الدور التي بليت سفاها
دعتك صبايةً ودعاك شوق
وقالت عند هجرتنا أباها :
أردت بعادنا بهجاء شيخني
فإن رضيت فذاك وإن تبادت
وعندك خلة تبغي هواها
ففيها خطة بلغت مداها
قفا يا صاحبي فسائلاها
وأخضل دمع عينك ما قياها
أردت الصرزم فانتده انتداها

٢

غضبت سلمي علينا سفاها
كان حق العتب يا قوم بني
فلئن كنت أردت بقلبي
فشكت اليوم سلمي فسلمي
غير أنني لأظن عدواً
فلها العتي لدينا وقلت
أن سببت اليوم فيها أباها
ليس منها كان قلبي فداها
لأبي سلمي خلاف هواها
ملأت أرضي معاً وسمهاها
قد أناها كاشحاً وأذاها
أبدأ حتى أنال رضاها

٣

لا أسأل الله تغبيراً لما صنعت نامت وإن^(١) أتمهرت عيني عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

٤

ووصفت عندي سليمي فاشتهد قلبي يراها
لو يرى سليمي خليلي لدعا سليمي إلاها
ورأى حين يراها رب طاسين وطاها

صرف الباء

٥

تلمب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي
بذكرني الحساب ولست أدري أحق ما يقول من الحساب

٦

قد راح نبحو العراق مشخبله قصاره السجن بعده الخشبه
يركبها صاغراً بلا قنب ولا خطام وحوله جابه
فقل لدعجاء إن صرت بها لن يعجز الله هارب طلبه
قد جعل الله بعد غلبتكم لنا عليكم يا دلدل القلبه
لست إلى هاشم ولا أسد ولا إلى نوفل ولا الحجه
لكنما أشجع أبوك سل الأ كبي لا ما يزوق الكذبه

٧

أصدغ نجي الموم بالطرب وأنعم علي الدهر بابنة العنب
واستقبل المعيش في غضارته لا تقف منه آثار معتقب

(١) نامت وقد كما في نهاية الأرب ج ١ ص ١٣٥

من قهوة زانتها نقادتها
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها
فقد تجأت ورق جوهرها
فهي بغير المزاج من شرر
كأنها في زجاجها تبس
في فتية من بني أمية أهل الجد والمآثر والحسب
ما في الوري مثلهم ولا بهم
فهي عجوز تملو على الحقب
من الفتاة الكريمة النسب
حتى تبدت في منظر عجب
وهي لدى المزج سائل الذهب
تزهو ضياء في عين مرنقبت
مثلي ولا منتم بمثل أبي

٨

إنما هاج قلبي
نظرة قد وقرت في
فاذا ما ذقت فاها
خالط الراح بمسك
شجوه بعد المشيد
قلب من أم حبيب
ذقت عذبا ذا غروب
خالص غير مشوب

٩

يا سليمان يا سليمان
يا سليمان ابنة عمي
أيما واش وشي بي
ريقة في الصبح مسك
كنت للقلب عذبا
برد الليل وطابا
فاملئي فاه ترابا
باشم العذب الرضا

١٠

قد تمنى معشر إذ طربوا
ثم قالوا لي تمن واستمع
فتمنيت سليمان أنها
من عقار وسوام وذهب
كيف ننحو في الاماني والطلب
بنت عمي من لهاميم العرب

١١

أم سلام أثبي عاشقا
أنك من عيشته في نفسه
فأرحميه انه يهذي بكم
بعلم الله يقينا ربه
يا سليمان فأعلميه حسبه
هائم صب قد أودى قلبه

أنت لو كنت له راحة لم يكدر يا مليمي شربه

١٢

ولقد صررتُ بنسوةٍ أعشيتني حور المدامع من بني المنجاب
 فيهن خرعبة مليم دما غرثي الوشاح دقيقة الأنياب
 زين الحواضر ماثوت في حضرها وتزين بادبها من الأعراب (١)

صرف التاء

١٣

سلّم همّ النفس عنها بعلنداة علاة
 نتقي الأرض وتهوي بخفاف مدحجات
 ذاك أم ما بال قومي كسروا سنّ فنائي
 واستخفوا بي وصاروا كقروود خاسثات
 أصبح اليوم وليد مائماً بالفتيات
 عنده راح وإبريق وكأس بالفلاة
 ابعثوا خيلاً ظليل ورماة لرماة

١٤

ولقد قضيتُ وإن تجللي لمي شيبٌ على زغم العدى لذاتي
 من كاعبات كالدمي ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
 في فتية تأبى الهوان وجوههم شم الانوف ججاج سادات
 إن يطلبوا بترانهم يعطوا بها أو يطلبوا لأبدر كوابرات

(١) قد كنت أحسب أنني جلد القوي حتى رأيت كواعباً أترابا
 يرفلن في وشي البرود عشيةً شبه الأراك وقد ملئن شبابا
 قربن حورا المدامع طفلةً أربين من عجب بها أربابا
 تلك التي لا شك حقاً أنها خلقت لحينك فتنةً وعذابا

كلمات مختارة (ص ٢٦)

١٥

أبا عثمان هل لك في صنيع تصيبُ الرشدَ في صليّ هُدينا
فأشكرُ منك ما تسديُّ وتُحيي أبا عثمانُ ميمته وميتنا

١٦

أراني قد تصأيت وقد كنت تناهيت
ولو بتركني الحب لقد صمت وصليت
إذا شئت تصبرت ولا أصبر إن شئت
ولا والله لا بصبر في الديمومة الحوت
مأسي ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت
فقبلتك ألفين وفديت وحييت
ألا أحجب بزور زار من سلمى بيروت
غزالٍ ادعج العين نقي الجيد والليث

١٧

أسلمى تلك حبيبت قفي فخبرك إن شئت
وقبلي ساعة نشكُ اليك الحب أو بيتي
فما صهباء لم تكس قذى من خمر بيروت
ثوت في الدن أعواماً ختياً عند حانوت

١٨

رب بيت كأنه متنُ سهم سوف تأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا يبلاد كما جئت نحوها حبيبت
أمّ سلام لا برحت بخير ثم لازلت جنتي ما حبيبت
طرباً نحوكم ونوقاً وشوقاً لادكار بكم وطيب المبيت
حيتما كنت من بلاد وسرتم فونالك الإله ما قد خشيت

صرف الجيم

١٩

إنني فكرت في عمرٍ حين قال القول فاختلفا
 إنه للمستندير به قمر قد طمس السرجا
 وبغني الشعر بنظمه سيد القوم الذي فلجا
 أكل الواديه صنعته في لباب الشعر فاندجا

٢٠

طاف من سلمى خيال بعد ما نمت وهاجا
 قلت عجب نحوي أسألك عن الحب فعاجا
 يا خليلي يا نديمي قم فأنت لي سراجا
 بفلاة ليس ترعى أنبتت شيخاً وحاجا

صرف الحاء

٢١

أشهد الله والملائكة الأبرار والعابدین أهل الصلاح
 أنني أشتهي السماع وشرب الكأس والعض للخدود الملاح
 والنديم الكريم والخادم الفا ره بسعي علي بالأقداح^(١)

٢٢

انني أبصرت شيخاً حسن الوجه مليح
 ولباسي ثوب شيخ من عباء ومسوح
 وأبيع الزيت يبعاً خاسراً غير ربيع

(١) وزاد صاحب حلية الكمي ص ٩٨

وظريف الحديث والكأغب الطف لمة تختال في سيموط الوشاح

٢٣

ولقد صدنا غزالاً سائحاً قد أردنا ذبحه لما سنع
 فاذا شئ بك ما ننكره حين أزجى طرفه ثم لمح
 فتركتناه ولولا حبيكم فاعلمي ذلك لقد كان انذبح
 انت يا ظبي طليق آمن فاغد في الغزلان مسروراً ورشح

٢٤

فما مسك يعل بزنجبيل ولا غسل بالبان اللقاح
 باشهى من مجاجة ربق سلمي ولا ما في الزقاق من القراح
 ولا والله لا أنسى حياتي وثاق الباب دوني واطراحي

٢٥

تذكر شجوه القلب القريب قدمع العين منهل سفوح
 ألا طرفتك باللقاء سلمي هدوءاً والمطي بنا جنوح
 فبت بها قرير العين حتى تكلم ناطق الصبح الفصيح

صرف الدال

٢٦

أتوعد كل جبار عنيد فما أنا ذاك جبار عنيد
 اذا لاقيت ربك يوم حشر فقل لله منقني الوليد

٢٧

فان تك قد ملت القرب مني فسوف ترى بجانبتي وبعدي
 وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلى الناس والأحوال بعدي
 وتندم في الذي فرطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

٢٨

ألمّا تعلمي أقامت
لعمرك يا وليدُ لقد أجنوا
ووجهها كان يقصر عن مداه
فلم أر ميتاً ابكي لعين
وأجدر أن تكون لديه ملكاً
مضمنة من الصحراء لحدا
بها حسباً ومكرمةً ومجدا
شعاع الشمس أهل أن يفدي
واكثر جازعاً وأجل فقدا
يزيك جلالة ويسرّ وجدا

٢٩

ألم تعلمي أقامت بهمدٍ
مضمنة قبراً من الأرض انجدا

٣٠

ومن بك مفتاحاً لخير يريده
فإنك قفل يا سعيد بن خالدٍ

٣١

أضحى فؤادك يا وليدُ عميدا
من حب واضحة العوارض طفلة
ما زلت أرمقها بعيني وامقٍ
عود الصليب فوبح نفسي من رأى
فسألت ربي أن أكون مكانه
صباً كلياً للحسان صيودا
برزت لنا نحو الكنيسة غيدا
حتى بصرت بها نقبل عودا
منكم صليباً مثله معبودا
واكون في لهب الجحيم وقودا

٣٢

يا من لقلب في الهوى متشعب
سلمي هواه ليس يعرف غيرها
إن القرابة والسعادة ألفا
يا قلب كم كلف النفؤاد بغادة
بل من لقلبٍ بالحبيب عميدٍ
دون الطريف ودون كل تليدٍ
بين الوليد وبين بنت سعيدٍ
ممكورة رياءً العظام خريدٍ

* * *

٣٣

إقرّ هني على الوليد سلاماً عدد النجم قلّ ذا للوليد
حسداً ما حسدتُ اختي عليه ربنا بيننا وبين سعيد

٣٤

سرى طيف ذا الظبي بالعاقدا ن ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرتق عيني على غرّة فباتت بجزن نقاسي السهودا
نوئل عثمان بعد الوليد مد للعمد فينا ونرجو سعيدا
كما كان إذ كان في دهره يزيدُ يرجي لتلك الوليدا
على أنها شسعت شسمةً فنحن نرجي لها أن تعودا
فان هي عادت فأوصي القرب بَ عنها ليوثس منها البعيدا

٣٥

ليت حظي اليوم من ك ل معاش لي وزاد
قهوةً أبذل فيها طارفي ثم تلامي
فيظل القلب منها هائماً في كل واد
إن في ذاك صلاحي وفلاحي ورشادي

٣٦

الحمد لله وليّ الحمد أحمده في يسرنا والجهد
وهو الذي في الكرب أستعين وهو الذي ليس له قربن
أشهد في الدنيا وما سواها أن لا إله غيره إلاها
ما إن له في خلقه شريك قد خضعت للملكه الملوك
أشهد أن الدين دينُ أحمد فليس من خالفه بهتد
وأنه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نديرا وفي الكتاب واعظاً بشيرا

ليظهر الله بذاك الديننا
من يطع الله فقد أصابا
ثم القرآن والهدى السبيل
كأنه لما مضى لديكم
انكم من بعد أن تزلوا
لا تتركون نصحي فأني ناصح
من يتق الله يجد غب التقي
إن التقي أفضل شيء في العمل
خافوا الجحيم إخوتي لعلمكم
قد قيل في الأمثال لو علمتم
ما يزرع الزارع يوماً يحصده
فاستغفروا ربكم وتوبوا

وقد جعلنا قبل مشركينا
أو بعصه أو الرسول خابا
قد بقيا لما مضى الرسول
حي صحيح لا يزال فيكم
عن قصده أو نهجه تضلوا
إن الطريق فاعلمن واضح
يوم الحساب صائراً إلى الهدى
أرى جماع البر فيه قد دخل
يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
فانتفعوا بذاك إن عقلتكم
وما يقدم من صلاح يحمدته
فالموت منكم فاعلموا قريب^(١)

حرف الراء

٣٧

أهينة حديث القوم أم هم
عزير كان بينهم نبياً
كأنا بعد مسلمة المرجى
أو آلاف هجان في قيود
فليتك لم تمت وقدك قوم
مقيم الصدر أو شكس نكيد

سكوت بعدما متع النهار
فقول القوم وحي لا يجار
شروب طوحت بهم عقار
تلفت كلما حنت ظوار
تريح غبيهم عنها الديار
وآخر لا يزور ولا يزار

(١) قال الوليد بن يزيد :

وان على شاطي الفرات لفتية
حدونا وساقونا فنحن كما ترى
يودون لو كانوا بما لهم افتدوا
نسوق كما ساقوا ونحدو كما حدوا

حماسة البحتري ص ١٦١

٣٨

لقد قذفوا أبا وهب بأمرٍ كبيرٍ بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالمٍ بهم خبير

٣٩

أنا ابن أبي العاصي وعتانُ والدي
أنا ابن عظيم القريبتين وعزها
نبي الهدى خالي ومن بك خاله
ومروان جدِّي ذو الفعال وعاص
ثقيفٍ وفهر والعصاة الأكابر
نبي الهدى يقهرُ به من يفاخر

٤٠

ألا حبذا سفرى وإن قيل إنني
يهون عليّ أن يظل نهارنا
كلفت بنصرانية تشرب الخمر
إلى الليل لأولى أصلي ولا عصرا

١٤

شاع شعري في سليمي وأشتهر
وتهادته العذاري بيننا
قلت قولاً لسليمي معجباً
لو رأينا لسليمي أثراً
ورواه الناس بادٍ وحضر
وتغنين به حتى اشتهر
مثل ما قال جميلٌ وعمر
لسجدتنا ألف ألفٍ للأثر
واتخذناها إماماً مرتضي
ولكانت حجتنا والمعتمر
إنما بنتٌ سعيدٍ قمر
هل حرجنا إن سجدنا للقمر

٤٢

يا أيها السائل عن ديننا
نشرها صرفاً وممزوجة
نحن على دين أبي شاعر
بالسخن أحياناً وبالفاخر

٤٣

عوجا خليلي على المحضر
عوجا به فاستنطقاه فقد
والربع من سلامة المقفر
ذكرني ما كنت لم أذكر

ذكري سلمي وأيامها إذ جاورتنا بلوى عسجرا
 بالربع من وذن مبدى لنا ومحوراً ناهيك من محور
 في محضر كنا به نلتقي يا حبذا ذلك من محضر
 إذ نحن والحى به جيرة فيما نضي من سالف الأعر

٤٤

اسقني يا يزيد بالقرقارة قد طربنا وحننت الزمارة^(١)
 اسقني اسقني فان ذنوبي قد أحاطت فما لها كنفارة

٤٥

اسقني يا ابن سالم قد أنارا كوكب الصبح وانجلي واستنارا
 اسقني من سلاف ربق سليمان واسق هذا النديم كأساً عقارا

٤٦

أرسلني بالسلام يا سلم إني منذ علاقتكم غني فقير
 فالغنى إن ملكت أمرك والفقه ربأني أزور من لا يزور
 وبيع نفسي تسلو النفوس ونفسي في هوى الريم ذكرها ما يحور
 من لنفس نفوق أنت هواها وفؤاد بكاد فيك يطير

٤٧

هالك الأحوال المشو م فقد أرسل المطر
 ثمت استخلف الوليد فقد أورك الشجر
 فاشكروا الله إنه زائد كل من شكر

(١) وبمده : من شراب كأنه دم خشف عتقته شيمة الخماره
 مسالك الأبرار ج ١ ص ٣٩٨

٤٨

أدرِ الكأسَ يمينًا لا تدرِها يسارِ
 إسقِ هذا ثم هذا صاحبِ العودِ النَّضارِ
 من كَيْتِ عُنُقِها منذ دهرٍ في جرارِ
 ختموها بالأفاورِ هـ وكافورِ وقارِ
 فلقد آيقتُ أني غيرِ مبعوثِ لنارِ
 سأروضُ الناسَ حتى يركبوا أبرَ الحمارِ
 وذروا من يطلبُ الجنَّةَ يسعى لتبارِ

٤٩

إسقني يا زبدُ صرفًا إسقني بالطرَجِهارِ
 إسقنيها مرةً يا خذني منها استدارِ
 إسقنيها كي تسلي ما بقاي من حراره^(١)

* * *

(١) قال الوليد بن يزيد :

سليمى تبك^(*) في العيرِ قفي إن شئتِ أو سيري
 فلما أت دنأ^(**) الصبح بأصواتِ العصافيرِ

الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ١٠٨

خرجنا نبتغي الصيد بأمثالِ العافيزِ
 إذا ما حقب جال شددناه بتصديرِ
 زجرنا العيس فاه نداءً بأهدابِ وتشميرِ

الكامل للمبرد ص ١٢ طبع أوروبا زيادة على ما في كتاب الحيوان .

(*) لعلها : تلك . (**) وفي الكامل : بدا .

صرف السين

٥٠

خفّ من ذرّ جبرتي يا ابن داود أنسها
أو لا تخرج العرو س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم تقض لبسها
برزت كالحلال في ليلة غاب نحسها
بين خمس كواعب أكرم الخمس جنبسها

صرف العين

٥١

أتاني سناب بالوداع لمؤمن فقلت له : إني إلى الله راجع
ألا أيها الحائي عليه تراه هبت وشأت من يديك الأصابع
يقولون: لا تجزع وأظهر جلادة فكيف بما تجني عليه الأضالع

٥٢

ألا أيها الركب المخبون أبلغوا سلامي سكان البلاد فأسمعوا
وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنت لكم إن لم تعقني عوائق بأن سماء الضر عنكم سنقلع
سيوشك إلحاق معاً وزيادة وأعطية مني عليكم تبرّع
محرّمكم دهبانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطبع

٥٣

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين نزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هئاتهم حسرت لم رأسي فلا أنقنع

٥٤

ليت هشامًا عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد طُبها
كناها بالصاع الذي كاله وما ظلمناه به أصبا
وما أتينا ذاك عن بدعة أحله الفرقان لي أجمعا

٥٥

ياسلم كنت كجنة قد أطمعت أفنانها دان جناها موضع
أربابها شفقًا عليها نومهم تحليل موضعها ولا يهجعوا
حتى إذا فسخ الربيع ظنونهم ثمر الخريف ثمارها فتصدعوا

٥٦

يا ويح جندي الأولى جاروا وما نظروا في غيب أمر عمود الدين لو وقعسا
ألقحها ثم شالت عاقداً أنفاً ما نتجوها فيلقوا بعدها ربعا

صرف الفاء

٥٧

أيا حكم المبتول لو كنت تعذري الى أشرة لبسوا بسود زعانف
لا يقنت قد أدركت وترك عنوة بلا حكم قاض بل يضرب السوالف

٥٨

ألا أبلغ أبا عثا ن عذرة معتب أسفا
فلست كمن بودك باللسان ويكثر الخلفا
عتبت علي في أشيا * كانت بيننا سرفا
فلا نشتت بي الأعدا * والجيزان ملتففا
تود لو أنني لحم رأته الطير فاختطفنا
ولا ترفع به رأسا عفا الرحمن ما سلفنا

٥٩

طابَ هومي ولدُ شرب السلافةُ إذ أتانا نعيُّ من الرصافةِ
 وأتانا البريدُ بِنعي هشامًا وأتانا بخاتمٍ للخلافةِ
 فأصطبحنا بخمر عانةٍ صرفًا وهونا بقينةٍ عزافةِ

صرف القاف

٦٠

أسعدةُ هل اليك لنا سبيلُ وهل حتى القيامة من تلاقٍ
 بلى ولعل دهرًا أنت بؤاتي بموتٍ من حليلك أو طلاقٍ
 فأصبح شامتًا ونقرتُ عيني ويُجمع شملنا بعد افتراقٍ

٦١

فلما أصانت عسافيرهُ ولاحت تبشير أرواقهِ
 غدا بقتري أبقًا عاربًا وبلبسٍ ناظر أرواقهِ

٦٢

أم سلامٍ ما ذكرتك الآ شرقت بالدموع مني المآقي
 أم سلامٍ ذكركم حيث كنتم أنت دائي وفي لسانك راقٍ
 ما قلبي يجول بين التراقي مستخفًا بتوق كلٍ مشاقٍ
 حذرًا أن تبين دارُ سليبي أو يصيح الداعي لها بفراقٍ

صرف الطاف

٦٣

أراني الله يا سلمي حياتي وفي يوم الحساب كما أراكِ
 ألا تجزين من تومتِ عصرًا ومن لو تطلبين لقد فضاكِ
 ومن لو مت مات ولا تجوتي ولو أنسي له أجل بكاكِ

ومن حقاً لو أعطي ما تمنى من الدنيا العريضة ما عدك
ومن لو قلت موت فأطاق موتاً إذا ذاق الممات وما عصاك
أنبيي عاشقاً كافاً معنسى إذا خدرت له رجل دعاك

٦٤

أم سلام لو لقيت من الوجد عشير الذي لقيت كفاك
فأنبيي بالوصل صبا عميداً وشفيقاً شجاء ما قد شجاك

صرف الهم

٦٥

دعوا لي سليمي والطلاء وقينة وكأماً ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برملة عالج وعانقت سلمي لا أريد بدالا
خذوا ملككم لا تبت الله ملككم ثباتاً يساوي ما حبيت عقالا
وخلوا عناني قبل عيري وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا
أبالمملك أرجو أن أخذ فيكم ألا رب ملك قد أزهل فزالا
ألا رب دار قد تحمل أهلها فأضحيت قفاراً والديار خلالا

٦٦

أليس عظيماً أن أرى كلّ وارد حياضك يوماً صادراً بالنوافل
فأرجع محمود^(١) الرجاء مصرّداً بتخلية عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت أمّل منكم وليس بلاق ما رجاء كلّ آمل
مقبض يوماً على عرض هبوة يشدّ عليها كفه بالأفامل

(١) «محدود الرجاء» كلمات مختارة ص ٢٧

٦٧

ألم تهتج فتدكر الوصالا
 إلى فالدمع منك له سجام
 قدع عنك إذ كارك آل سمدى
 ونحن المالكون الناس قسراً
 وطئنا الأشعرين بعز قيس
 وهذا خالد فينا أسيراً
 عظيمهم وسيدهم قديماً
 فلو كانت قبائل ذات عز
 ولا تركوه مسلوباً أسيراً
 وكندة والسكون فما استقالوا
 بها سمننا البربة كل خسف
 ولكن الوقائع ضعفتهم
 فما زالوا لنا أبداً عبيداً
 فأصبحت الغداة علي تاج
 وحبلأ كان متصلاً فزالا
 كء المزن ينسجل انسجالا
 فنحن الا كثرون حصى ومالا
 نسومهم المذلة والنكالا
 فيالك وطأة ان تسقالا
 ألا منعهو ان كانوا رجالا
 جعلنا الخزيات له ظلالا
 لما ذهبت صنائه ضلالا
 ياسر من سلاسلنا الشقالا
 ولا يرحت خيولهم الرحالا
 وهدمنا السهولة والجبالا
 وجذتتم وردتهم شلالا
 نسومهم المذلة والسقالا
 لملك الناس ما يبغى انتقالا

٦٨

أنا النذير لمسدي نعمة رأياً
 إن أنت أكرمتهم أفتيتهم بطراً
 أنشمخون ومنا رأس نعمتكم
 أنظر فإن كنت لم تقدر على مثل
 بيننا يسمنه للصيد صاحبه
 عدا عليه فلم تضرره عدوته
 إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلاً
 وإن أهنتمهم أفتيتهم ذلاً
 متعلمون إذا كانت لنا دولا
 له سوى الكعب فاضربه له مثلاً
 حتى إذا ما نوى من بعد ما هزلاً
 ولو أطاق له أكلا لقد أكلا

٦٩

من مبلغ عني أبا كامل - أني إذا ما غاب كالحابل -
 قد زادني شوقاً إلى قرابه - ما قد مضى من دهرنا الحائل -
 أني إذا عاطيته مرة - ظلت يوم الفرح الجاذل -

٧٠

عني للحدث الجليل - جوداً بأربعة همول -
 جوداً بدمعي أنه - يشفي الفؤاد من الغليل -
 لله قبره ضمنت فيه عظام ابن الطويل -
 ماذا تضمن إذ نوى فيه من اللب الأصيل -
 قد كنت أوي من هواك إلى ذرى كهف ظليل -
 أصبحت بعدك واحداً فرداً بمدرجة السيول -

٧١

وزق وافر الجنيبيق مثل الجمل البازل -
 به رحت إلى صحبي وندماني أبي كامل -
 شربناه وقد بننا بأعلى الدير بالساحل -
 ولم نقبل من الواشي قبول الجاهل الخاطل -

٧٢

غرفت المنزل الخالي - عفا من بهد أحوال -
 عفاه كل حذائف - عسوف الوبل هطال -
 لسلمى قرّة العين - وبنت العم والخال -
 بذلت اليوم في سلمى - خطاراً أتلفت مالي -
 كأن المسك في فيها - صحيح بين جريال -

۷۳

خبروني أن سلمى خرجت يوم المصلى
فإذا طيرٌ مابح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى قال : ها ، ثم نعلى
قلت يا طير آذن مني قال : ها ، ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى قال : ها ، ثم نولى
فكنى في القلب كئماً باطناً ثم تعلّى

۷۴

هل إلى أم سعيد من رسول أو سبيل
ناصرح يخبر أني حافظ ود خليل
أبذل الود لغيري وأكافي بالجميل
لست أرضى خليلي من وصالي بالقليل

۷۵

سقيت أبا كامل من الأصفر البالي
وسقيتهم مبعداً وكل فتى فاضل
لي الخض من ردم وبغرم نائلي
فما لاني فيهم سوى حامد جاهل

۷۶

طرقني وصحابي هجوعٌ ظبية أدماء مثل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلت في رؤوس الجبال
نقطع الأهوال نحوي وكانت عندنا سلمى ألوف الحجال
كم أجازت نحونا من بلاد وحشة فماتة للرجال

٧٧

أنا الوليد الإمام مفتخراً أنعمُ بالي وأنهمُ الغزلا
أهوى سليمي وهي تصرهني وليس حقاً جفاءً من وصلا
أصبح بردي إلى منازلنا^(١) ولا أبالي مقال من عدلا
غراء فرعاء يستنضاه بها تمشي الهوبنا إذا مشت فضلاً

٧٨

قد أغتدي بذني سيب هيكل مشرب مثل الغراب أرجل
أعدته خلابات الاحول وكل تقع ثائر جحفل
وكل خطب ذي شؤون معضل

٧٩

يارب أمر ذي شؤون جحفل قاسبت فيه خلابات الاحول

صرف الميم

٨٠

ضمنت لكم إن سلم الله مهجتي عطاءً ورزقاً كاملاً في المحرم
فلا تعجلوني لا أباً لا أياًكم فاني لكم كالوالد المترحم

٨١

أنا الوليد أبو العباس قد علمت علياً ممدٍ مدي كرتي وإقدامي
إني لفي ذروة العلياً إذا انتسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
بني لي الحمد بان لم يكن وكلاً على منار مضيات وأعلام
حملت من جوهر الأعياص قد علموا في باذخ مشمخز العز فمقام

(١) في الكامل ١ / ٤١٢ : انقل رحلي إلى مجالسها

صعب المرام يسامي النجم مطامه يسمو إلى فرع طود شامخ سامي

٨٢

ألا يسايك عن سلمى قنير الشيب والحليم
وأنت الشك ملتبس فلا وصل ولا صرم
فلا والله رب النا س مالك عندنا ظلم
وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرحم

٨٣

أتانا يربدان من واسط يخبان بالكتب الممجده
أقول وما البمد إلا الردى أمسلم لا تبعدن مسلمه
فقد كنت نوراً لنا في البلاد نضي فقد أصبحت مظلمه
كتمنا لنميك نخشي اليقين فجلى اليقين عن الجمجمه
وكم من يثيم تلافيته بأرض العدو وكم أيتمه
وكنتم إذا الحرب درت دماً نصبت لها راية معلمه

٨٤

إن كأس العجوز كأس رواء ليس كأس ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفاً في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيسل لظلاً في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطاسق فوافي لذلك غير حكيم

٨٥

طال ليلى فبت أسقى المداما إذ أتاني البريد بنمي هشاما
وأتاني بحملة وقضيب وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعات الولي من بعد فقدي بفضل الناس ناشتاً وغلामا
ذلك ابني وذاك قرم قريش خيز قوم وخيرهم أعماما

٨٦

عللاني بعائقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم-
 إنها تشرب المدامة صرفاً في إناء من الزجاج عظيم
 جنبوني أذاة كل لثيم إنه ما علمت شر نديم
 ثم إن كان في الندامى كريم فأذيقوه بعض مسّ النعيم
 ليت حظي من النساء سليمي إن سلمى جنبيني ونهيمي
 فدعوني من الملامة فيها إن من لامي لغير رحيم

٨٧

خيلي ورب الكعبة المحرمه سبقن أفراس الرجال اللومه
 كما سبقناهم وحزنا المكرمه كذلك كنا في الدهور القدمة
 أهل العلى والرتب المعظمه

٨٨

نام من كان خلياً من ألم وبدائي بث ليلي لم أنم
 أرقب الصبح كأني مسند في أكف القوم تغشاني الظلم
 إن سلمى ولنا من حبيها ديدن في القلب ما أخضر السلم
 قد سبتني بشيت نبتة وثنايا لم يعين قضم

٨٩

بأفا عني سليمي وسلاها لي عمّا
 فعلت في شأن صب دنف أشعر همّا
 ولقد قلت لسلمي إذ قلت بين علما
 أنت همي يا سليمي قد قضاه الرب حتّا
 نزلت في القلب تمراً منزلاً قد كان يحمي

صرف النون

٩٠

رأيتك نبي جاهداً في قطيعي فلو كنت ذا إرب لهدمت ما تبني
 تُشير على الباقيين بحبي ضفينة فويل لهم إن مت من شر ما تبني
 كأنني بهم والليت أفضل قولهم ألا ليتنا والليت إذ ذلك لا يعني
 كفرت بدأ من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

٩١

حبنا ليلتي بدير بونا حيث نسقي شرابنا ونفني
 كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا مجننا
 ومررنا بنسوة عطران وغناء وقهوة فنزلنا
 وجعلنا خليفة الله فطرو س مجونا والمستشار مجننا
 فأخذنا قربانهم ثم كفر نا لصليات ديرهم فكفرنا
 واشتهرنا للناس حيث يقولو ن إذا خبروا بما قد فعلنا

٩٢

منازل قد تحل بها صليبي دوارس قد أضر بها السنون
 أميت السر حفظاً يا صليبي إذا ما السر باح به الخزون

٩٣

وبح سلمي لو تراني لعناها ما عناني
 متلفاً في اللهو مالي عاشقاً حور القيان
 إنما أحزن قلبي قول سلمي إذ أتاني
 ولقد كنت زماناً خالي الذرع لشاني
 شاق قلبي وعناني حب سلمي ويرانني
 ولكم لام نصيح في سلمي ونهاني

٩٤

عَلَّلاني واسقياني من شراب إصبياني
 من شراب الشيخ كسري أو شراب القيرواني
 إن في الكأس لمسكاً أو بكفّي من تمني
 أو لقد غودر فيها حين صبت في الدنان
 كاللاني نوّجاني وبشعري غنياني
 أطلقاني بوثاقني واشدّداني بعناني
 إنما الكأس ربيع يُنعاطى بالبنان
 وحُميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

٩٥

إني مهمت خليلي نحو الرّصافة رآه
 خرجت أسحب ذبلي أقول ما شأنه
 إذا بنات هشام يندبن والدّه
 يندبن شيخنا كريما وكان بكرهه
 بقلبان وبلي وعولي والويل حل بهه
 أنا المتخنت حقا إن لم أتلمه

٩٦

وصفراء في الكأس كالزعفران سبأها التجببي من عسقلان
 تترك القذاة وعرض الأنا ء ستر لها دون لمس البنان
 لها حبيب كلما صفقت تراها كلمة برق يمان (١)

(١) قيد جعلنا طوائفا بالدنان حين طاف الوري بركن يمان
 مسجد الساجدون لله حقا وجعلنا يسجدونا للقناني

حلبة الكميت ص ٩٨

٨

صرف الباء

٩٧

ألم تر أني بين ما أنا آمن يُخبُّ بي السندي قفراً فيا فيا
تطلعت من غور فأبصرت فارساً فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدالي أنما هو فارس وقفت له حتى أتى فرمانيا
رمانى ثلاثاً ثم إني طعنته فرويت منه سعدتي ومنانيا

٩٨

قامت إليّ بتقبيل تعانقي ربا العظام كأن المسك في فيها
أدخل فديتك لا يشعر بنا أحد نفسي لنفسك من داء تغديها
بثنا كذلك لا نوم علي سرر من شدة الوجد تدنيني وأدنيها
حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها حان الفراق فكاد الحزن يشجها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد والله عني بحسن الفعل يجزيها

٩٩

أقصرا عن ملامتي عاذياً إن غذلي يزيدني اليوم غياً
لا نلوما هديتني إن قاي عشق اليوم شادنا قرشياً

١٠٠

لقد أغدو على أشعة ريفتال الصحاريا

١٠١

أنا في بيني بديها وهي في يسرى بديها
إن هذا لقضاء غير عدل بأخيه
ليت من لام مجبا في الهوى لاقى المنيه
فاصتراح الناس منه ميمة غير سوبه



نقد

كتب الدراسة للعلوم العربية بافريقيا الشمالية

من محاضرة ممنة تلاها العلامة سيدي محمد بن الحسن الحجوي الشمالي في مؤتمر اللغة والآداب العربية الذي انعقد بثونس أيام ١٤ و ١٥ و ١٦ كانون الاول ١٩٣١ الموافق ٤ و ٥ و ٦ شعبان ١٣٥٠ ، وألقاها مؤلفها في جلسة المؤتمر الاخيرة الرسمية ، ونشرها ليطلع القراء على آثار علماء المغرب العربي .

غير خفي أن علة العلل في تأخر الأمة العربية أو الأمم الإسلامية هو داء الامية ، وكل يعلم مضارها العظمى وأثرها السيئ ، فينا بما يقني علمه عن بيانه لذلك أرى أن أول داء نبادر لعلاجه وحسم مادته هو ذلك الداء العضال المخطر داء الامية .

ولا تزول جراثيمه إلا إذا تساوى أفراد الأمة ذكراناً واناثاً في قدر من العلم الادبي والتهذيب يزول به سوء التفاهم بين أفراد الامية ، وهو أقل ما يكفي لان يصل به الكل إلى معرفة ما يصلح مجتمعهم أو يضر جاهتهم ، فيكونوا كجسم واحد يحس بما يؤلم أعضائه ويهتدي للدواء الحقيقي فينتطلبه من حيث ينبغي تحصيله .

ولا سبيل بحسب العادة إلى الوصول إلى هذا القدر إلا بتسهيل تعليم القراءة والكتابة وبه زوال غشاوة الامية عن أبصار الأمة (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) كان النبي العربي (ص) بهالج داء الجهل بنفسه المقدسة بياشر تعليم الامية وتهذيبها شفاهياً ، ويزيل عنهم داء الامية ، فيأمرهم بكتب القرآن في الصحف والخاف والعظام وغيرها مما كانوا يكتبون فيه .

واقدم أناف كتابه صلى الله عليه وسلم الذين بكتبون له الوحي وغيره على الاربعين كاتباً من أعيان الصحابة الكرام ترفيعاً لشأن الكتابة ، وكان يرغبهم في نبذ الامية وتعلم الكتابة والقراءة

وقد ثبت في السير أنه لما أسر بعض كفار قريش في غزوة بدر ، وكانوا يحسنون الكتابة ، وكان أهل مدينته عليه السلام يجربونهم ، جعل فداء بعض الاسرى أن يعلم الاسير عشرة من أبناء المدينة المنورة ، فإذا علمهم نال حريته وأطلق من أسره بدون شيء سوى ذلك .

ومن افندي بالمال كان هوذي من الاربعة آلاف دينار إلى الثلاثة إلى الالفين إلى الالف كل أسير على قدر ماله ، فانظر قيمة تعليم الكتابة كم كانت تساوي ، فإن تعلم الفتي الواحد يساوي اربعمائة دينار إلى مائة دينار ، وليس ذلك بقال في سبيل انلاف داء الامية ، لذلك لا نستعظم ما نقرره الدولة في ميزانيتها للتعليم حيث نسبته إلى عدد المتعلمين كل سنة .

ما هي الامية ؟

الامية في الزمن النبوي وما يقرب منه كانت عبارة عن عدم معرفة القراءة والكتابة فمن عرفهما لم يبق أمياً حيث كانت اللغة واحدة ، فلفة التخاطب والتفاهم هي الفصحى سواء فيها الأشراف والسوقة ، ولم يكن لديهم لغتان عامية وفصحى ، فكان الناس متساوين في فهم ماخوطينا به من القرآن والسنة والادامر والنواهي والمنشورات والمكاتب والخطب والشعر ، وإنما تفاوتهم بالكاه وزيادة المعلومات . أما في الوقت الحاضر ، فالذي يعرف القراءة والكتابة فقط من غير أن يترق بين التراكيب الصحيحة والفاصلة هو أمي أو ملحق به ، حيث جهل اللغة الفصحى التي هي لغة النشر ، ولا يخرج عن صحن الامية إلا إذا عرفها ولو معرفة ابتدائية ، وان لم يصل إلى حد التعمق في الدقائق ، فهذا يخرج من صف الاميين ويدخل في صف أهل العلم ، إذ يمكنه ان يتوفى اللحن في كلامه وان لا يعاط في فهم كلام غيره بحيث لا يتقلب له الضارب مضر وبناً ، وبذلك يفهم خطب الخطباء غير المتكلمين لسجع الكهان ولا المتعمقين في التراكيب المعقدة المتظاهرين بمظاهر

التخفة العلمية ، وبفهم المنشورات الدولية والجرايد السيارة ليطلع منها على أحوال العالم ويعرف ما عند غيره فيخرج من عزلة الأفراد ويفهم لغة المراسلة التي لا يرضى أحد من أهل العلم ان يتنازل عنها ولا أن يكتب بدرجة أسفل منها ، وهي لغة الشريعة ولغة القوانين والظواهر والمنشورات الحكومية ، فالحصل على هذا القدر ليس بالحي هو عارف بما له وعليه ، عضو عامل في المجتمع بخلاف الاحي الجاهل بذلك فإنه كعضو اشل ضرره على مجتمعه أكثر من نفعه (إلا نادراً وعلى خرق العادة) لعدم تمييزه بين ما هو ضار أو نافع ، فرما اختار الضار على النافع من حيث لا يشعر ، والاحي بسيط الفكر يتخذ لكل مهبج ، فيقع في شباك الفتانين بأقل إشارة بخلاف الذي يقرأ الكتب ويطالع الجرائد فإنه يكون مشاركاً للعقلاء في تفكيرهم لا تنظلي عليه حيل المحتالين غالباً ؛ إذا سلم هذا القدر علمنا أننا لسنا مطالبين أمام امتنا العربية بتعليمها الحروف العربية والكتابة وقراءة الجمل قراءة بسيطة فقط ، بل نحن مطالبون بتعليمها تعليماً ابتدائياً لغة النشر فيجب أن نعمم هذا بين أفراد الأمة ذكراً وأنثى بقدر الإمكان ، هذا التعليم الذي أراده لا يحصل إلا بتعليم مالا بد منه من النحو والصرف ومصطلحات كتب اللغة الابتدائية كمصباح الفيومي ومختار الصحيح للرازي ونحوهما بحيث يمكن للمتعلم أن يراجع لفظة عربية اعترضت فهمه في آية أو شعر ، ومرادي من النحو هو ما قال أمام الادباء أبو عمرو الجاحظ : علم ولدك من النحو ما يعرف أن يميز بين العبارة الصحيحة والعبارة الفاسدة وإياك أن تكثر عليه من النحو فإنه خبال .

فوصية هذا الامام ينبغي أن يقتصر في التعليم الابتدائي على القدر الضروري الذي يحتاج اليه من يريد أن يتوقى اللحن فيما بهر به عما في ضميره والغلط في فهم عبارة غيره كما تقدم ، وهذا القدر لا يلزم فيه ان يدرس الفية ابن مالك وشروحا ولا كافية ابن الحاجب وشافيته فضلا عن التوضيح والتسهيل أو نحوهما مما كانت تسميته من باب الاضداد .

إن من يريد أن يمر بالعلمين ليتزود منهما زاد مسافر بوصله لغيرهما من المقاصد غير محتاج إلى دراسة أمتال هذه الكتب المسببة بكثرة اختصارها واحتياج رموزها إلى شرح ، وشروحها إلى حواش وأخذ ورد وقبول ونقد ، فالدراسة بها تحتاج إلى أن ينقطع

الطالِب إليها ثلاث سنوات أو أربعا لا يزال غيرها ، وأنى لأبنائها أن يجدوا هذا الوقت في المدارس الثانوية فضلا عن الابتدائية ، ليس الأولاد في المدارس سوى ثلاث ساعات أو ساعتين في الاسبوع مخصصتين للنحو في بعض الصفوف دون بعض ، ولا يتسع الوقت لأكثر من ذلك لأنهم مطالبون في الاوقات الاخرى بعلوم دينية وأدبية اخرى مع العلوم العصرية التي أصبحت ضرورة لمعاشهم وازدهار مستقبلهم ، وهذه الساعات لا تسع الدراسة بكتب ابن مالك وابن هشام مثلا بل لا تصلح لها مقدمة ابن ابراهيم نفسها ، كما ينبغي بهدوء ان هذه المدارس الدولية ابتدائية وثانوية هي اهم ما يعتمد الآن عليه في حفظ اللغة والعلوم العربية لكثرتها وانتظام سيرها ولولاها لكانت افتتنا في خطر ، إذا فالضرورة قاضية علينا بتأليف كتب تنطبق على حاجة ابنائنا تصلح للدراسة في فني النحو والصرف وغيرهما من الفنون ؛ فمن المتعين علينا ان نؤلف كتباً وطنية دراسية في كل علم نحن في حاجة اليه موافقة لحاجتنا ومطابقة لتفكيرنا ، وتكون على ثلاثة اصناف : صنف للمدارس الابتدائية وصنف للثانوية وصنف للنهائية ، فالصنف الاول يجمع بعض قواعد النحو وهي الضرورية منها التي لا بد منها في إصلاح المنطق والكتابة كما تقدم ، وقد رأيت من هذا الصنف جملة الفت في الشام ومصر وغيرهما ، ونقع الدراسة ببعض منها في المدارس الدولية عندنا في المغرب

ولكنها لم تسلم من نقد وقليلة لم تتمكن من تميم التعليم بها لقلة ما يرد منها وغلاء ثمنها غلاء مشطاً ، ولم يستحسن احد ادخالها في تعليم القرويين الابتدائي ، فالواجب على علماء افريقية الشمالية ان يؤلفوا مثلها مما يسلم من النقد تنشره ادارة المعارف على نفقتها ليعم التعليم به في جميع البلاد الافريقية ، لان اختلاف التعليم والاسلوب مضر ، فكمن طالب ينتقل مع والديه من مدينة الى مدينة او من مدرسة الى اخرى في مدينة واحدة فيختلف عليه الكتاب الذي يدرس به وتضيع ايام الدراسة عليه ، وكم من واحد بدأ اول السنة بمدرسة بسفينة النجاة السوربية ، فقرأ أحكام الافعال دون الاسماء ، ولما انتقل وسط السنة لمدرسة اخرى نقرأ بالاجرومية مثلاً وجددهم قرأوا أحكام الاسماء وهو لم يقرأها ، فضاقت عليه سنة وسقط في الامتحان طبعاً حيث الامتحانات عندنا في العربي مثل الفرنسي سواسية .

الصف الثاني : كتب تؤلف لللاميذ الثانويات تكون أجمع للقواعد من الاولى وأرقى تعلما منها ، وتشتمل على جملة من شواهد الكلام الفصيح فتحي دارسها لان يكون منشئا خطيبا ومطبا .

الصف الثالث : كتب تؤلف لاصحاب التعليم العالي في القرويين والزيتونة وأمثالها تجمع جميع قواعد النحو ولا تشذ عنها شاذة بجميع شروط كل قاعدة وقيودها ومشتنياتها وتأتي لكل قاعدة باصولها من الكلام العربي والقرآن العظيم والسنة الصحيحة ، وتجمع ما هو مفترق من القواعد في الائمة وشروحا كالاشموني وحواشيه والمغني والتسهيل وكافية ابن الحاجب وكتاب سيديويه وشروحا بحيث لا يبتى الطالب محتاجا للبحث عن قاعدة ما في كتاب من كتب النحو المنفرقة والتي لا يقيس لكل أحد امتلاكها ، وتهيبته لان يصير منشئا خطيبا من الدرجة الاولى عربيا قحيا .

لا أريد كتبنا تختصر من الكتب السالفة الذكر اختصارا بل أريد ممن يؤلف في النحو كتب الدراسة أن يشور ثورة مهولة جريئة على النحويين فيكسر السجن الذي سجنونا وصحنوا فيه أنفسهم ، ويطلقنا من ربة أفكار المؤلفين ولا سيما المتأخرين ، فينبذ وراء ظهره الاسلوب الذي التزموه وهو تضخيم علم النحو وتكثيره وصيرورته علما عظيم الجثة بالعمامة والثياب حتى صار شبيحا مخوفا فحرموا من النعم به عموم الامة وكانوا سببا في ابعادها عن لغة القرآن وعن لغتها المحبوبة وحرموها من التقدم وزوال الائمة .

أريد ممن يؤلف أن يقاب وضعية العلم رأسا على عقب اهزأبا وتصرفا

(١) فلينبذ تلك التعاريف المعقدة التي أول من جاء بها الرماني ، والتي الجانا إلى النزاع هل تعريف الفاعل رسم أو حد ، وقد ادخل فيه الحكم الذي هو الرفع أو العرض العام وهما لا يدخلان الحدود وهي قاعدة منطقية والمنطق متأخر طبعيا عن النحو فكيف يقدم

(٢) ولينبذ عنا ما خلط بالفرن من قواعد علمي المعاني والبيان اللذين هما كنتيجة لعلم النحو ويتكرر على التلميذ قراءتهما عند ما يقرؤهما في الوقت المخصص لهما وذلك مما ضخم به صاحب التصريح على التوضيح كتابه ، وأفاض فيه محشوه مثلما فعلوا في

مبحث حروف الجر هل ينوب بعضها عن بعض مجازاً أو استعارة ، مع أن هذا مبحث لغوي وقد كرره حتى في علم الاصول فزادوا النحو صعوبة ، وهكذا علم الوضع أتوا بجمل قواعده في علم النحو ، وكل من هذه العلوم له تأليفه وبطلب في إبانته ، ومن طلب الشيء قبل إبانته عوقب بجرمانه .

(٣) ولينبذ عنا كل حجج النحويين وتوجيهاتهم الخيالية التي ليست عليها مسحة من القبول ، وليقتصر على الاستدلال بالسماع الصحيح الذي تلقاه نفاة أهل الفن كالتخليل وسيدويه ويونس والاصمعي وأمثالهم من العرب الموثوق بعريتهم ، فليجتنب تلك الحجج الخيالية التي هي فلسفة باردة ضخمت بها الكتب وضاع فيها الوقت ، فهم أنفسهم يقولون: لو هي من حجة نحوي ، والعرب أبعد الناس عن تلك الفلسفة الخيالية ، وإن تعجب فاعجب للنحويين اخترعوا أداة باردة سمجة ونبد الفقهاء من كتبهم الأدلة التي بنيت على الاصول القوية والتي لا يكون الفقيه فقيها إلا اذا عرفها وحررها .

(٤) ولينبذ عنا كل خلاف كوفي أو بصري أو بغدادي وكل تحزب لفريق ضد الاخر ، فالعلم لا وطن له ، وكل قول غضده سماع صحيح فصيح لم تلجى اليه ضرورة الشعر فصحيح مقبول ، لان من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي وزيادة الثقة مقبولة في كل فن ، فلا معنى لبقاء الخلاف بعد ثبوت السماع الا تكثير الشغب والجمود على التحيز لفريق دون آخر ولغة العرب ليست بصرية ولا كوفية .

إن جل مسائل الطب فيها خلاف ولكن الطيب لا يعالج مرضاه بقوله في علاج هذا الداء خلاف بل يعالجه من طريقة يختارها وترجع عنده صوابيتها ، ولو أراد تتبع الخلاف ما عالج مرضاه ولما اتوا كلهم قبل رفع الخلاف .

وعلى كل حال ان كل قول تجرد عن الدليل الصحيح فلينبذه ولا يعرج حتى على حكاية وبكفي ان يقول أول الكتاب كل مسألة نحوية لا تجلو من خلاف بين بصري وكوفي غالباً .

(٥) ولينبذ التأويلات البعيدة في السماع الصحيح الظاهر فان ذلك محض خيال ووجد الحق ، فتكلف التأويل هو الذي فتح على الاسلام كل وبل ، ولو فتح بابه لانسقط على النحويين كل قواعدهم لانها إنما تستند للسماع الصحيح الظاهر غالباً وهو قابل للتأويل .

(٦) ولينبذ تعميل بعض القواعد النحوية التي انحصر أفرادها فلم تحتاج لتعميل ولا لتعقيد كتعميل بناء بعض الاسماء كالضائر وأسماء الإشارة بشبه الحرف ، فالمبنيات من الاسماء محصورة وما كان عليهم إلا أن يعدوها عدأ ويمسكوا عن الأوهام الباطلة فالبناء جمود كالعدم بل هو عدم اختلاف الحركة الأخيرة مهما اختلفت السوائل ، والعدم لا يعال على أن تلك التعاميل لا تخلو من نقد وأخذ ورد مما دل على فسادها واراقة بجمود المداد على بسيط من أرض الرق من غير فائدة تجلب ، فليس هناك مجهول استنتاجه ، ولا عويص افتروعه . بالله عليكم أي حاجة بنا لمعرفة علة بناء الاسم وكون بنائه على حركة وكونها خصوص كذا ؟ كل ذلك باطل ، وجيده من الفوائد العلمية عاطل ، وإنما هو تضخيم وتطويل لما خلقه الله قصيراً وتكثير للقابل بخيال أشبه بالخيال ، ولا خطر لعربي يبال ولا إسلامي قبل خوض الفارسيين في علوم العرب ، وإنما العرب كانت تنطق حسب أذواقهم السليمة وفكرتهم البدوية البسيطة المستقيمة لا شعور لهم بما تخيله النحويون ولا بما تفلسف به الفرس البصريون والكوفيون ، ومصالحة الأمة في تقصير علم النحو فطولوه ، ونقليله فضخموه ، فليجتنب المؤلف أمثال هذه الأحاجي المسترذلة .

(٧) ولينبذ تعقيد قواعد ليست لها فوائد وإنما هي كمد الموائد للطعام ولا طعام ، كقاعدة إن المبتدأ لا يكون نكرة إلا بمسوخ وبطيولون ذبول القاعدة ببيان المسوغات ، ثم يكثرون على ذلك بما يشبه أن يكون مبطالا له ، وهو أن المدار على حصول الفائدة ، ونسوا أنهم قعدوا قاعدة أول الفن ، إنهم لا يعتبرون من الكلام إلا ما كان مفيداً ، فأبي فائدة حصلت من هذه القاعدة ؟ وهكذا القاعدة الأخرى المشابهة لها أو المأخوذة منها ، وهي ان صاحب الحال لا يكون نكرة إلا بمسوخ وبنوعون المسوغات ، ثم يقولون انه ورد في الصحيح بدون مسوخ صلى النبي (ص) فاعداً وصلى وراه قوم قياماً فصار حاصل الفذليكة صفراً .

و كقاعدة ان المصدر المنكر لا يكون حالاً بقياس وإنما هو موقوف على السماع مع وروده بكثرة في الكلام الفصيح ومع الثبوت المستفيض لم يبق ما يوجب تحجير القياس مع ثبوت إطلاق المصدر على اسم الفاعل واسم المفعول ، ما ذاك إلا خيال التوجيهات النحوية والفلسفة الباردة .

وكقاعدة أن لا يحذف الجار وينصب بحروره قياساً وابقاعه على السماع مع وروده كثيراً في الفصحى، وقد رأينا في مسائل أخرى إذا وردت جزئية أو جزئيتان عن العرب أباحوا القياس، والمنع مخالف لاصل القياس المبني على أن الحكم يدور مع العلة فليس النحجبر إلا من خيال الفلسفة الباردة .

وقد أقدم ابن مالك كغيره في مواضع من الالفية على نبذ النحجبر المحجف كقوله:

وسبق حال ما يحرف جر قد ابوا ولا أمنه فقد ورد

وكقوله في منع العطف على ضمير الرفع المتصل :

وايس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبثاً

فبأمثال هذه القواعد وهذه النحجيرات والنزاع فيها وفي توجيهاتها الفلسفية الباردة

طال علم النحو وضخم ومصيبة الامية جاءت الامة من طولها وضخامته .

(٩) ولينبذ وراء ظهره أن يذكر في تأليف الدراسة الابتدائية ما لا يصل إلى

فهمه أهلها مثل تعريف الكلام والكلم والكلمة واللفظ والمفيد النخ . . فتعريف أمثال

هذه الامور لا يحتاج اليها المتوسط ولا تفيد ولا يبرز اتعابه وانلاف وقته فيها فضلاً

عن المبتدئ لقلته جدواها وإنما فيها إرهاب طالب النحو إذ يجد هذه المسائل الصعبة القليلة

الجدوى في أوله فيظنه كله صعباً فيذهب مهرولاً ويترك لهم نجوم بقمون زبدهم

ويضربون عمرهم .

ومثل ذلك تعريف الاعراب والاختلاف فيه هل هو لفظي أو معنوي . وما أبعد تلك

التدقيقات عن المبتدئين بل عن المتوسطين وما أقل جدواها وما أكثر الوقت الذي

يضيع فيها .

ومن ذلك الاشتغال في كون تقسيم الكلام إلى اضم والى فعل وإلى حرف ، هل من

تقسيم الكلي الى جزئياته أو الكل إلى أجزائه ، ثم انهم اعترضوا الكل وأظلموا المسالك

بمصطلحات منطقية لا تطاب ولا تفهم إلا بعد تحصيل جملة من النحو . فيالله من قوم لم

يرق في أعينهم إلا أن يكون طريق النحو وعراً مظلماً ، وهكذا ما دمت سائراً مع

أبواب النحو تجدهم فتحوا الباب بقولهم باب كذا ثم في أول قاعده أو ثانیتها تجدهم

أوصدوه بل جعلوا عليه رصداً وظلمات بأنواع من الصعوبات ليتردوا الناض عن لغتهم

ويصعبونها عليهم ، وهي من أسهل اللغات وأكثر الصعوبة خلط فلسفة النحو بالنحو وكان يذموني أن تجهل كتب فلسفة النحو مستقلة للمتخصصين فيه ، وايض عملهم هذا خاصاً بالنحو بل هو داه عياء وصلت عدواه إلى سائر العلوم العربية .

فهذا علم البيان أكثر واقية من الخيال فصيره صعب المرنقي ، وقد كان ثمرة يانعة دائية وضخمه بخلافات السكاكي والزخشمري وغيرهما ، حتى أنك إذا تطلبت قاعدة من قواعده نقيه لم تجدها إلا في وسط مستنقعات من الاوهام والابحاث الجوفاء بل حتى تخوض لأجلها بجوراً من التحويلات السرايية

وهكذا علم أصول الفقه ضخموه بعلم المنطق والجدل واللغة والتوحيد ، حتى التصوف ، فصار علم الاصول وسط هذه العلوم لا يبصر إلا بمكبرة كاشفة ، كهلال تحت الغمام . أما علم اللغة الذي هو سماح محض فلم يجد الفلسفة منفذاً اليه فقد ضربوا دونه سداً بالانغاز الاختصارية فلا بد لمن أراد الكشف عن لفظه أن يفرض قاموس التسمية الذي اختصر صاحبه سفراً فأوجب على شارحه عشرآ .

أناشدكم الله أيها المؤتمرون أن تأخذوا بيد هذه اللغة العربية الجميلة الرأية من أصل وضعها والتي أضعها أهلها ، وقضي عليها حب التخفظة العلمية والاباحة العرفانية ، قضي عليها تكبير العلم وتصغير التأليف ، فبينما هم يريدون تكبير العلم وتصغيره في صف العلوم الواسعة الطويلة العربضة إذا بهم يصغرون التأليف فينساقون الى الاختصار إلى أن يصلوا حد الانغاز والتسمية فيحوجونا إلى أسفار الشروح والحواشي ، فنزهد عن يؤلف ان تكون له براعة تامة وفكر رقاد ومقدرة واسعة ومبدأ صحيح وجزأة نادرة فلا يختصر لنا ما هو مختصر أو مطول ، ولا يوضح لنا ما هو محتاج لايضاح فقط بل بقلب وضعية العلم وينصرف تصرف الناقد البصير ويستخلص القواعد النحوية أو البيانية أو غيرهما استخلاصاً صحيحاً بفكر مستقل ، فلا يدخل فناً في فن ولا بكثرت من القشور حتى يفنى اللب ، ولا بكثرت في العلم من الفلسفات الخيالية الباردة ، بل بقصر على القواعد الصحيحة النقية بفرغها في قالب عربي صميم مصقول على نسق تأليف المتقدمين بحيث يستغني في كل تأليف عن أي شرح أو تكملة بل يكون كافياً للصف الذي الف لاجله مفهوماً بنفسه من غير تشنيت للضمائر ولا احتياج إلى تقدير مضاف ولا اجداث اصطلاح لكل كتاب

بل يكون اسلوب التأليف اسلوباً عربياً قحاً سالماً من كل ايهام أو ايهام أو لكنة أو تعقيد وانما هو سرمد مسائل كل فن وقواعده مستغنياً بالتنصيص عن التعميص من غير تطويل ولا زيادة على المقصود من الفن ولا اختصار مخل به .

وبكثر في الكتب الابتدائية من الامثلة والتمرينات ، وفي غيرها بكثير من الشواهد العربية والجمال الفصحي والكلام العالي ومهما أتى بقاعدة ساقها تامة القيود والشروط والمستثنيات الى غير ذلك مما تقدم . هذا وانا محتاجون لكتب التلاوة والاملاء والمطالعة تكون قوالها وتراكيب جملها عصرية فصحي وتكون مشكولة بأنقن ضبط الا انها تختلف باختلاف أصناف التعليم ، فإتي تكون للشانوي أعلى من التعليم الابتدائي ولكن كلها يكون معانيها في الاخلاق والتهذيب اذ الامة بأخلاقها ونحن احوج ما يكون لتكوين امة مهذبة ذات أخلاق اسلامية عالية ، بل نحن احوج الى التهذيب منا الى التعليم ، فالاحسن والواجب ان تكون كتب التلاوة والاملاء كلها كتب أخلاق وتهذيب يستفيد التلميذ من معناها لعناه وروحه ، ومن الفاظها وحسن تراكيبها لاصلاح لسانه وطبعته وتدريبه على الفصاحة والبلاغة والاخذ بضمعي البيان ، ولا بد من مزج الكتب الثانوية منها بجوامع كلمه عليه السلام وبآيات الاخلاق وأحاديثها الصحاح وامثال العرب وخطب الخلفاء وحكم الحكماء وغيرها مما هو راجع للاخلاق والتهذيب وذلك افضل من حكايات مائت بها كتب جملة لهذا الغرض كبحر الادب الذي يدرس به التلاوة في مدارسنا المغربية الدولية .

وانا محتاجون الى معجم اقوي يجمع كل ما في القاموس وشرحه وتكلمته وصلته وذيله الذي ذبل به صاحب الشرح (مؤلف له خطي مستقل موجود جله بمكتبة القرويين) وكل ما في اللسان وغيره من المعاجم المعروفة بحيث ان من راجع مادة منه ايقن واطمأن خاطره انه حصل منها على المراد ولم تبق نفسه متشوفة لسواء ، ولا يقتصر على ما اقتصر عليه صاحب اقرب الموارد فانه اخل بشيء كثير من الفن .

ومحتاجون الى معجم عصري يجمع دوال الاشياء المستحدثة اما من صميم العربية ان وجد لها لفظا والا فيكون بالوضع الجديد على نسق ما كان يفعله أسلافنا عند ترجمة كتب اليونان وغيرهم ؟

محمد الحجوي الشمالي

محاضرات في تاريخ لغة العرب

٥

١٣ = المعرب والشعرب

المعرب : ما استعملته العرب في كلامها من الالفاظ الموضوعه لعان في غير لغتها . واشترط بعضهم ان يكون اللفظ الذي تلقاه العرب من المعجم نكرة مثل ابريسم وجوقة وسرادب ، فاذا كان علماً مثل ابراهيم واسماعيل واسحاق فلا يسمى معرباً ، وانما يسمى اعجمياً . ومن هذا تعلم ان التعريب : هو نقل الكلمة من لغة أجنبية الى اللغة العربية بتغيير أو بغيره ويسمى الاعراب ايضاً مثال ما تغير عند التعريب (شكر) فانه معرب (مسكر) و (افليد) وهو المفتاح فانه معرب (كليلد) و (بنفسج) فانه معرب (بنفشه) و (هنزمن) معرب (انجمن) لمجمع النام . ومثال ما عرب من غير تغيير (نوروز) و (الكاغد) و (البخت) بمعنى الحظ . هذا ولا جرم ان امتداد لغة من أخرى يعد من أسباب نمائها . فالتعريب بالنسبة للغة العربية أحد عوامل توسيعها ، فقد تناولت هذه اللغة طائفة من الكلم غير يسيرة من لغات شتى وأكثتها مستمرّة وعضمتها هضماً ، حتى أصبحت من لحمها ودمها ، وما في ذلك عليها من عاب ، لأن اللغة الحية تشبه المخلوقات الحية ، تفنقر في بقائها ونمائها الى مختلف الاغذية ، وفي عداد هذه الاغذية ما تنتزعه لغة من أخرى من مختلف الكلم ، هذا اذا كانت اللغة قوبة البنية ، وإلا فقد تكون بعض اللغات مرعى خصيباً لبعض آخر ، تأكل منها ما تشاء وتذر ما تشاء ، كما وقع للغة التركية فانها عاشت بجاراتها العربية والفارسية وأكلت منها أكل النهم الشره ، وأكثتها بشتت ، وعسر عليها هضم ما ازدردته ، فحارت في أمرها ولم تنزل حائرة ، وما ذلك

إلا لضعف بنيتها الاصلية وعاهات كانت ألقت بها منذ الطفولة على ما يظهر .
 أما لغتنا العزيزة فهي - والله الحمد - من أقوى اللغات على الهضم والتمثيل ، تنتزع
 اللفظة من أي لغة شاءت ثم ترددها فلا تبرح أن تهضمها وتمثلها أيما تمثيل ، وتجري عليها
 تصاريفها وتصبح كأنها من الصميم منها . حتى ان علماء اللغة وأئمتها ليحارون في هذا
 الباب كل الحيرة ويتعسر بل يتعذر عليهم في كثير من الاحيان تمييز الاصل من الدخيل ،
 حتى أدى الامر ببعضهم إلى انكار أن يكون فيها شيء من غيرها البتة ، وانقلب الامر على
 آخرين فأخذوا ينكحون عراها ، وبشكوتونها نكثا ، ويخرجون ما هو منها في الذوابة
 فينسبون له إلى غير أصله ، ويردون له إلى غير اهله . وما ظنك بقوم بلغ بهم الهوس في هذه
 الناحية حتى أخرجوا لفظ (الادب) من صميم لغة العرب وهذا - لعمرك - شذوذ في
 الشذوذ ونظرف في التطرف . ولست في مقام المناقشة لهؤلاء الناس في هذا الشأن ،
 لان لنا معهم مقالا في غير هذا المقام . ولكننا نريد ان نقول : ان أهم ما يفتنيه الباحث
 من الشعر في باب التعريب هو الإلمام بطرقه المختلفة التي سار عليها أسلافنا ، لان
 معرفة تلك الطرق ، وصبر منرجاتها من أهم ما نستعين به في تذليل ما نحن بسبيله من
 العقبات في وضع المصطلحات العلمية التي فاض فيضها وتدفتق أنهارها . نحن لانشك
 في أن أولينا كانوا يسيرون في هذه السبيل على سجية لغتهم ، لا يكفونهم فوق طاقتهم ،
 ولا يقصرون في امدادها بكل ما يسد حاجتها ويشبع نيتها ، حتى أوصلوها إلى ما
 أوصلوها إليه من البسطة في المادة والنصاعة في البيان ، فوعت عنهم ما شاؤوا أن بوغوها
 من علم وادب ، ولم تضق ذرعا بحمل ما حملوها من معقول ومنقول ومحسوس وغير محسوس
 كما لم يبخلوا عليها بكل ما تطلبته منهم من خدمة صادقة وتغذية صالحة .

فهل يشك متأدب اليوم بان اللغة بعد مجيء القرآن الكريم والنهضة الاسلامية غيرها
 قبلها ، بل هي في العصر العباسي غيرها في صدر الاسلام . فاذا قارنت بين لغة العلوم
 اللسانية ، والشرعية ، والكونية ، ولغة عرب الجاهلية ، نجد البون بعيدا ، والمسافة
 قصية . وهل يرتاب مرتاب في أن لغة الفزالي ، والرازي ، وابن رشد ، في نآ ليفهم
 تختلف عن لغة امرئ القيس ، والناطقة ، وزهير ، وان لغة هؤلاء لو لم يتمدها أهل

المعرفة بالخدمة ، والتوضيح ، والعقل ، والتهذيب لضاقت ذرعا بتلك العلوم الكثيرة
والمعارف الغزيرة .

أما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يتدفق بالمعارف ألا نقف موقف الجبان المتهيب
وما علينا إلا أن نشق لنا طريقاً لاجبا من بين هذه العقاب المنبثة ، ونتخذ من أعمال
أولينا مناراً نأتم به في عملنا ، ونستنير به في هذه السبيل . ولهذا كان من واجب أبناء
العربية لهذا العهد أن يقتلوا هذه الناحية بحيث لا يعرفوا ما ياتون وما بذرون في تمهيد طريق
الحياة لثقتهم هذه في هذا العصر الذي تطورت فيه الأفكار تطوراً هائلاً ، وصار من
البعيد أن تقوم قائمة للغة إلا إذا مشت مع أفكار بنيتها كنفها ككتف ، وصنشير في
آخر هذه المحاضرة إلى نماذج من طرق التعريب التي سلكها الأولون . وعلى الباحث
بعد أن يرجع إلى ما أفردته العلماء من التأليف المهمة في هذا الباب الواسع .

وذهب أناس إلى أن ضبط الكلمات ، ومعرفة معانيها ، وضروب اشتقاقها ، وكيفية
استعمالها ، ينبغي عن معرفة أن هذه الكلمة أصل في اللغة أو مستعارة . قالوا : ولا سيما
بعد أن نحكم بان اللفظ المستعار لا يلبث أن يأخذ مكانه من اللغة المستعيرة ، ويكون
له ما للأصيل ، وعليه ما عليه .

فأي فائدة تعود علينا من البحث عن أصله ، والرجوع إلى منخه ، وهل هذا
إلا ضرب من ضروب العبث ، ولون من ألوان اللهو بالباطل ؟ ! وذهب آخرون إلى أن
هذه المباحث حجة الفوائد ، كثيرة الثمر ، وهي أكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها
وأقوى نصير في معرفة أسرار نمائها ، وعوامل بقائها ، إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية
اللغوية .

بماذا يعرف الم عرب ؟

الأصل في كل كلمة تستعملها العرب أن تكون غترية النجار ، إلى أن يقوم
الدليل القاطع على أنها عربية . ولا ينبغي الحكم عليها بالتعريب بمجرد موافقتها أو مقارنتها
كلمة تستعمل بمعناها في اللغة العجمية ، إذ قد تكون الكلمة في العربية أصلاً ، وقد
نقلها العجم إلى لغتهم مثل لفظة (الجمل) فإنها أصل في العربية وقد نقلها كثير من الشعوب

إلى لغاتهم كما قد تكون الكلمة أصلا في أكثر من لغة ، لأنها موروثه من لغة قديمة اندثرت بعد أن ولدت عدة لغات ، مثال ذلك كلمة (أرض) المستعملة في العربية والانكليزية وغيرهما . فان الأرض معمورة بالامم منذ وجدت الامم فلا يعقل أن أمة من الامم بقيت لا تعرف للأرض اسما إلى أن سمته من أمة أخرى فاستعارته منها ، هذا أمر تحيله العادة .

وهذا الباب من أضييق الابواب واغمضها ، ولا يمكن التوصل اليه الا بعد اجتياز أوعر المسالك واصعبها . ومن ثم نجد أقواما خاضوا في هذه المباحث على غير هدى فضلوا سواء السبيل ، فتراهم حيرى كأنهم يدورون في حلقة مفرغة ، فيبنا تراهم بنسبون كلمات هي من العربية في الصميم ، الى نيجار عجمي ، اذ تراهم يلبصقون بالعربية كلمات هي من صميم العجمية ، واذا طالبتهم بالدليل ضلوكوا بك بُنيات الطريق ، وبعد الشدة والعناء رجعت صفر اليدين ، ورضيت من الغنيمة بالاياب . وقد وضع الاقدمون في هذه السبيل بعض الصوى ليهتدي بها السالك ، وهي على ضآلتها لا تخلو من فائدة ، قالوا تعرف عجمية الاسم بوجوده :-

احدهما = النقل بان ينقل ذلك احد أعلام العربية

الثاني = خروج الكلمة عن أوزان الاسماء العربية مثل الايزبسم ، فان مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الاسماء العربية ولذلك اختلفوا في ضبطه - لانهم قد يخلطون فيما ليس من كلامهم - ولو كان من الأوزان العربية لما أخطأهم ضبطه ، ولما اختلفوا فيه كل ذلك الاختلاف .

الثالث = ان يكون أول الاسم نوناً بعد راء مثل (نرجس) فانه معرب (نرگس) الرابع = أن يكون آخر الكلمة زاباً بعد دال مثل (مهندز) ولذلك قالوا فيه (مهندس) ليعبدوا عما لا ألف لهم به .

الخامس = أن يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل (الصولجان) و (الجص) فانهما معربان من (كوجان) و (كجج)

السادس = ان يجتمع فيه الجيم والقاف مثل (منجنيق) اللآلة الحربية المروفة .

و (الجردقة) للرغيف و (الجرموق) للذي يلبس فوق الخف و (الجوسق) للقصر و (الجواقي) للوعاء المعروف (باسم چواله) و (الجلاقى) للبنديق و (الجوقة) للجماعة من الناس .

السابع = أن يكون الاسم رباعياً أو خماسياً وهو خال من أحد حروف الذلاقة وهي (ب ر ف ل م ن) يجمعها قولك (بفر من لب) وهي أخف الحروف ، ولذا لا تخلو منها الاسماء الرباعية والخماسية لما في هذه الاوزان من الثقل لكثرة حروفها فيلحق بها بعض هذه الحروف لتتنحو بها نحو الخفة مثل (الزادوق) فانه لغة في (الزئبق) وشذ عن هذا الاصل كلمة (عسجد) فإنهم قالوا بعربيتها مع أنها رباعية خالية من حروف الذلاقة وقال الأزهرى في التهذيب - متعقبا على الوجه الخامس - قد تجتمع الجيم والصاد في بعض الكلمات العربية من ذلك قولهم : جصص الجرو إذا فتح عينيه ، وجصص فلان اتاه إذا ملأه ، والصنج ضرب الحديد بالحديد .

الثامن = ان تجتمع الجيم والطاء في الاسم مثل (الطازج) فإنه معرب (تازة) وهو الطري .

التاسع = ان يجتمع في الاسم الصاد والطاء مثل (الاصطفلية) وهي الجزيرة فإنها معربة ؛ وأما الصراط فالصاد فيه بدل من السين إذ أصله (السراط) مأخوذ من السراط وهو الابتلاع بكثرة .

العاشر = أن يجتمع في الاسم السين والذال مثل (ساذج) فإنه معرب (ساده) وهو البسيط الخالص عما يشوبه ، وهو في الاصل ما لا نقش فيه وما يكون على لوف واحد لا يخالط غيره .

الحادي عشر = أن يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل (سذاب) وهي بقلة معروفة فإنها معربة .

الثاني عشر = أن يجتمع في الكلمة لام بعدها شين ، قال ابن سيده : ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة لان الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات ، فكلمة التفليس بمعنى الهدم ليست بعربية بخلاف كلمة شغل ، وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين بتقديم

ولا تأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بنقديم ولا تأخير .
 هذا مجمل ما وضعه الاولون من الأعلام في هذه السبيل ، وقد توصل علماء اللغات
 لهذا العهد الى أصول في هذا الباب كان يعز على الاقدمين الوصول إلى بعضها ، وما ذلك
 إلا لانصراف جماعات المستشرقين إلى دراسة اللغات المختلفة ، ولا سيما القديمة منها
 والابغال في أحشاء القرون البعيدة ، واستثارة دقاتها ، وبذل الوسع في دراسة أصول
 اللغات وفقها ، والإحاطة بفروعها المختلفة من جميع جهاتها ، وقد صدروا عن هذه
 المباحث وهم يعلمون من العلم ما كان مطموراً في غيابة التاريخ البعيد ، فإذا حكوا في
 هذا الباب فحكاهم الفصل ، واليهم فيه يرجع أمر العقد والحل .

ومن أمثلة ما وضعوا من القواعد في هذا الشأن قولهم : إذا انفقت كلمتان في لغتين
 لفظاً ومعنى ، و كان بين أهل هاتين اللغتين صلوات جغرافية أو تجارية أو سياسية أو
 نحوها مباشرة أو بالواسطة ينظر ، فإذا كان ذلك المعنى من نتائج قرائح إحدى تينك
 الامتين ، أو من مصنوعاتهم أو من منتوجات بلادهم ومحاصيلها ، يرجح أن يكون أصلاً
 في تلك اللغة ، منقولاً منها إلى غيرها ، مثال ذلك الساعة ، فإن العرب كانت تطلقها
 على الجزء المخصوص من الزمن ثم لما أبدعوا الآلة المعروفة التي تدل على أجزاء الزمن
 وتعيينها أطلقوا عليها هذه اللفظة ، فهم أسبق الامم إلى تسمية هذه الآلة بهذا الاسم ،
 فإذا سمعنا الفرس أو الترك مثلاً استعمالوا هذه اللفظة بهذا المعنى ، نقطع بأنهم استعاروها
 من اللغة العربية ، ومثل هذا كثير من المصطلحات التي وضعها العرب عندما دونوا علوم
 لسانهم مثل عطف وإضافة وتمييز وغيرها ، فإذا رأينا بعض الامم الشرقية استعملت هذه
 المصطلحات في معانيها عند العرب أو في معان تقرب منها نجزم بأنهم استعاروها من اللغة
 العربية ، هذا اذا علمنا بأن العرب دونوا هذه المصطلحات قبل غيرهم ، ومن ذلك كلمة
 القهوة فإنها موجودة في العربية وفي معظم لغات العالم فإذا علمنا أن العرب كانوا
 يطلقون هذه اللفظة على الخمرة ثم أطلقوها على هذه الشجرة المخصوصة المسماة بالبن .
 وهي من منتوجات بلاد البن في الاصل ومنها انتقلت إلى البلاد الاخرى ، وإذا علمنا هذا
 نقطع بأن هذه اللفظة بهذا المعنى عربية النجار ، ومن ذلك (الجمل) و (الفزال) ونحوها
 من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب أو كانت خاصة بها ومنها نقلت الي غيرها .

وإذا علمنا أن المسك مثلاً ينتج في بلاد التبت والصين وبعض بلاد الهند ومنها ينقل إلى سائر بلاد العالم ، وعلمنا أن هذه اللفظة مستعملة في السنسكريتية والفارسية والعربية ، غيرها ، نعلم أن هذه اللفظة بمعناها هذا سنسكريتية الاصل ومنها انتقلت إلى غيرها من اللغات مباشرة أو بالواسطة؛ ومثل ذلك (الكافور) فإنه في السنسكريتية وغيرها ، ولكننا إذا عرفنا أن مصدر هذا النوع من الطيب بلاد الصين واليابان وملكها وان اسمه باللغة الملقية (كابور) عرفنا أنها كلمة ملقاة الاصل ومنها انتقلت إلى غيرها من اللغات ، ومثل ذلك الفلفل فان مصدره بلاد الهند وهو في اللغة السنسكريتية (بيالا) أو (ففالا) والامثلة في هذا كثيرة لا يكاد يحيط بها الحصر .

قلنا إن المتبحرين في دراسة اللغات لهذا العهد انصرفوا إلى استئثاره دفائن اللغات القديمة وحلوا رموزها ودرسوا أصولها درساً دقيقاً واستخرجوا فروعها وقارنوا بينها من حيث المادة ، والصرف والنحو وغيرها ، وبذلك توصلوا إلى معارف جمّة وعلوم مهمة وقد أرجعوا كل طائفة من اللغات إلى أصل واحد ، وهذا الاصل إما أن يكون باقياً أو مندثراً ، فأصول الباقية هي التي سارع أهلها إلى تدوينها منذ العصور العربية بالقدم ، والمندثرة هي التي لم تدون فبقيت مظمورة في طبقات القرون الخالية ، أما فروعها فنمت واورقت ثم أثمرت ومنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر .

فإذا ذهبنا إلى القول بان اللغة العربية والعبرانية والكلدانية - مثلاً - بنات لام واحدة هلكت وعاشت بناتها ، نعلم أن كثيراً من الالفاظ بقيت مشتركة بين هذه اللغات فاذا رأينا لفظاً في أكثر من واحدة من هذه اللغات دالة على معنى واحد أو على معان متقاربة لا يمكننا الحكم باصالتها في لغة دون أخرى بل نرجح أن تكون هذه اللفظة من ميراث اللغات الام ، فهي أصل في كل منها . وبالعكس اذا وجدوا لفظاً في احدى هذه اللغات تجلوا منها سائر اخواتها يشكون في كونها أصلاً في هذه اللغة .

وعلى هذا وضعوا قاعدة اغلبية وهي انهم اذا وجدوا لفظاً في لغتين أو أكثر ترجع إلى اصول مختلفة ولم يجدوا تلك اللفظة في اخوات احدى اللغتين أو اللغات يرجحون انتسابها إلى اللغة الاخرى ، مثال ذلك اذا وجدوا لفظاً في العبرية والمصرية القديمة مثلاً

ولم يجدوها في العربية ولا الكلدانية يرجحون انها مصرية الاصل وان العبرية استعارتها من المصرية .

هل التغير ضروري في التعريب

من الكلمات العربية ما يبقى على حاله قبل التعريب مثل (بخت) و (نوروز) ومنها ما يجري عليه التغير يسيراً كان أو كثيراً .

والاصل في هذا الباب عدم التغير وابقاء الاصل على حاله الا اذا دعت الى التغير ضرورة ، فيصار اليه ؛ ولكن التغير يكون بقدر ما قضت به تلك الضرورة من غير زيادة ولا نقصان ومع هذا فاننا كثيراً ما نجد تغييراً لا تدعو اليه الحاجة ولا نقضي به الضرورة ، مثال ذلك (الكعك) فانه معرب من (كاك) قلبت الفه عيناً من غير ضرورة داعية . و (الدهقان) معرب ، (ده خان) اي رئيس القرية ، ومقدم أهل الزراعة من العجم .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة تغير لازم وآخر غير لازم مثل كلمة (البد) بمعنى الصنم ، فانه معرب (بت) قلبت فيه الباء الفارسية المثلثة باء عربية ، وهذا القلب لازم لثلاث بدخل في الحروف العربية ما ليس منها ، وقلب التاء دالا ، وهذا القلب غير لازم كما هو ظاهر .

وأسباب التغير كثيرة منها : احتمال الكلمة الاعجمية المراد تعريبها على بعض الحروف العجمية التي لا وجود لها في اللغة العربية كما أشرنا الى ذلك في أول هذا البحث ؛ ومنها أن يكون في الكلمة الاعجمية حركة لا وجود لها في العربية أو هي موجودة في لغة ضعيفة مثل كلمة (زور) بمعنى القوة ، فانها معربة من كلمة (زور) بضم مشوبة بالفتحة ، فأبدلت عند التعريب بضم خالصة لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية المشوذة ؛ ومنها الثقل (ناي) آلة الطرب المعروفة فانها معرب (ناي نرمين) وقد حذف شرطها الثاني للخنفة ؛ ومنها نقض الكلمة الاعجمية من ثلاثة الاحرف مثل (صك) تشديد الكاف فانه معرب « جك » الثنائي على ما عرفت آنفاً ، ومنها كون الكلمة الاعجمية مبدوءة بحرف ساكن ، فيضطر عند التعريب الى تحريكه أو زيادة همزة قبله مثل (هليلج) و (أهليلج) معرب (هليلجة) وهو الشمر المعروف ؛ ومنها أن يجتمع

في الكلمة الاعجمية حرفان ساكنان ساكنون على غير حده فيحرك أحدهما مثل (ابزن) تعريب (آبزن) كما تقدم ، ومنها تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الاعراب فإن كان الحرف الآخر في الكلمة الاعجمية هاء رسمية مثل (دوره) لمكيال الشراب وللجرة ذات العروة و (لوزينه) لنوع من الحلوى و (روزونه) للكوة وجب قلب هذه الهاء الى حرف آخر قابل لحركة الاعراب وقد اعتادوا قلبها جميعاً وهو الاكثر ، وربما قلبوها قافاً أو تاء فقالوا (لوزينج) و (زورق) و (روزونة) وقد نقلب هذه الهاء قافاً وعليه عربوا كلمة « نيزه » وهو الزمخ التصدير على « نيزك » .

وأصابع كثيرة يعرف كل في محله وقد تشدد بعض الاعلام في وجوب صيانة الاعلام من التغيير بقدر الإمكان حتى قال بعضهم : يجب صيانة العلم الاعجمي من كل تغيير مهما كلفنا ذلك من المؤونة فيجب أن نلتزم بها كما ينطق بها أهلها من غير أدنى تغيير وهو رأي وجيه ولكنه صعب التطبيق ، لان الحكم على الالسنة باجراء ما لا عهد لها به أمر غير يسير ، كما يشهد به الواقع .

طه الراوي

يبيع



آراء وأخبار

حول مقالة (الطموح عند المتنبي)

كافور وسيف الدولة في نظر الحق والتاريخ

(أ أكثر من كتب في هذه الأيام عن المتنبي كان قوله في هذين الرجلين نحواً من أقوال المتنبي فيهما، تأثروا بشعر المتنبي في مدح الاول وذم الثاني. ولم أر فيهم من نصب ميزان الحق بينهما فقال كلمة التاريخ ، بل كلهم أعاد قول الشاعر الذي يتجه جهة الريح ولا يؤخره عن هجاء امرئ في الغد ما أطيب في مدحه أمس . إلا أن أحداً لم يقل فيهما ما قال حضرة الفاضل الذي ناقشه بكلمتنا هذه)

قرأت في العدد العاشر من هذه المجلة كلمة الاستاذ احمد رضا في (روح الطموح عند المتنبي) وقد جره الاسترسال في الكلام - وهو في موقف المؤرخ الأمين - إلى أن يقول ص ٣٦٢ من مجلة المجمع لهذه السنة بعد أن أورد طائفة من مدائح المتنبي في كافور : « يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو العبد الزنيم الذي أذنه في بد النحاس دامية ، وقدره وهو بالفلسين مردود ، ويقبل منه ما لا يقبله من سيف الدولة فيخضع للإشاد بحضرتة قائماً وهو يعلم ان الفرق بين سيف الدولة وكافور علماً وأدباً ونسباً وشرفاً ونوالاً كالفرق بين الدرة والبعرة لا يقاس بجد » اهـ

هذا قول إذ تنكره الحقيقة والتاريخ كل الإنكار ، وما كان لمؤرخ أن يصدر حكماً على رجل لقول شاعر فيه ، وضلال كبير أن نعتمد على المتنبي في القضاء بين سيف الدولة وكافور ، بل هو نفسه مدح كافوراً ثم هجاء وقد بالغ في حاله هاتين مبالغة منكراً

فياً يتهما تأخذ؟ وإذا صاح لصاحب الفن المولع بالجمال أن يستعذب أماديب الشاعر أو أهاجيه ، فإن على المؤرخ أن يطرحها طرحاً وألا يقيم لها حساباً إذا علم أنها لا ترجع إلا إلى سرور الشاعر بالعطاء أو غيظه من الحرمان .

وما عيب الشعر العربي بشيء أشنع من أبواب المديح فيه ، وليت الزمن ذهب بهذه الثروة منه صفقة واحدة فأفناها غير مأسوف عليها ، إذا لقرت عين الأدب والفن والكرامة ولا ترتفع الشعر عن دركات الاستجداء الشائن .

هذا وأول أدوات المؤرخ التي لا يكون مؤرخاً إلا بها ، التجرد والإنصاف ووزن الأقوال وما لا يسها من ظروف ، ثم التروي والناة والاستقصاء ، حتى إذا اطمأن المؤرخ إلى ما بذل من جهد أصدر حكمه بكل هدوء ، أصدر من يعرف أن الله سيسأله عن كل حرف سطره : ما هي حجته فيه .

فلا شرع في بيان ما أنكسر من هذا القول الذي أتى به الاستاذ :

أ - أما كون كافور عبداً فليس بضائره عند التاريخ الذي لا يحكم على امرئ إلا بأعماله ، عبداً كان أو حراً ، وقد تضافرت الشرائع السماوية والوضعية كافة على إسقاط هذا الذي يزعم فرقاً بين خلق الله ، فالعبد كالحُر والحُر كالعبد في نظر الحق لا يرفع الإنسان إلا صالح عمله .

ب - وأما كونه زنياً فهذا ما أسأل الاستاذ إقامة البينة عليه من التاريخ ، أسأله ذلك بإلحاف ولا أقبله من الجواب عليه البتة .

ج - وأما التفاوت في الأدب فهو صحيح كما ذهب إليه الاستاذ في إثباته ، وأنا أسلمه له مع إبطائي أشد الإباء الشكل الذي وردت عليه عبارته .

د - وأما النسب والشرف فحجيب والله ذكرهما على سبيل المفاضلة . نعم كانت ذلك في زمن مضى من الجاهلية أو من عصور الجهل والظلم ، فلما أتى الإسلام أبطله وهدمه شهيداً أقر عيون كل منصف حر في أقطار الأرض .

ولا تنس أن من أكبر حسنات الإسلام جعله الناس كلهم طبقة واحدة ، وبهذا قضى على ظلم فارس والروم وغيرها من الأمم التي كان فيها طبقات ، فيها الملوك وفيها الأشراف وفيها الشجار وفيها العبيد . . . وكانت كل طبقة تسوم من دونها سوء

العذاب . فلما رحم الله الناس بالاسلام جهر كتابه بهذه الآية العظيمة الخالدة : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم .)

وافرض ايها الاستاذ أن في تقاليد اليوم ما يجعل هذه الفروق معتبرة ، أفسوخ لك وأنت المؤرخ الباحث ان تدخلها في جريدة الحسنات والسيئات فتجعل النسب مما يفاضل به الناس في نظر التاريخ ؟

والاسلام هو الذي يقول قرآنه : (نبت بدا أبي لهب) وأنت تعلم ان ابا لهب ينتسب الى اشرف بيت من بيوت العرب ، هو ابن عبد المطلب وعم رسول الله ذروة سنام الشرف وغاية ما يعتز به النسب . وكتاب الاسلام هو القائل في ولد نوح : (يانوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح) فأنت ترى في هذه الآية الفصل فيما بيننا فهي اسقطت نسب الدم واثبتت نسب العمل ، والامر كذلك في الواقع والحق ، فنسب الانسان عمله ولا يخفى على احد الحديث القائل بأن الله اذهب نخوة الجاهلية وتفأخرها بالآباء ، الناس من آدم وادم من تراب .

هـ - واما قولك : هذا درة وهذا بكرة فهو ما استهجنه كل الاستهجن لانك إن كنت تعني الحلقة فليس امرها الى كافور ولا الى سيف الدولة حتى نعيب الاول بتشويه صورته أو ثني على الثاني بتحسينها ، امر ذلك يا مولاي الى الله ، ومهما ترقى سيف الدولة في مراتب الجمال ومهما تدنى كافور في القبح فانا لا نغفر لك ان تشبه آدمياً بالبكرة والمحار يب بتعالى فيها كل يوم قول الله عز وجل « ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقوله : « ولقد كرمنا بني آدم » .

وإن كنت تعني بتشبيحك هذا بالدرة وذلك بالبكرة فارقاً معنوياً مرجعه الى ما أدى كل منهما لرعيته من خدمة فهذا غير مسلم لك .

وسأثبت لك شهادة المؤرخين في ان الامر على عكس ما ذهبت اليه ، وان التاريخ يذكر سيف الدولة في عداد السفاكين الظالمين الذين استحلوا كل ما حرم رسول الإنسانية (ص) في قوله « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » وبذكرة مع

الذين اشقوا رعيتهم وفتنوها ، والتاريخ يعد كافوراً في طبقة الملوك الصالحين الحصفين
وهاك براهيني :

١ - قال المؤرخ الذهبي في كافور : « وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء
حوائج الناس ، وكان يتعبد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول : اللهم لا تسلط علي مخلوقاً »
وقال « وكان يرسل كل ليلة عيد وقر بغل دراهم في صرر بأسماء من ارسلت اليهم من
العلماء والزهاد والفقراء » .

٢ - جاء في كتاب دول الإسلام ج ١ ص ١٢٣ في حوادث سنة ٥٣٥٦ هـ (وفيها
مات كافور وكان عجباً في العقل والشجاعة »

٣ - جاء في وفيات الأعيان في ترجمة كافور : « وكان يدعى له على المنابر بمكة
والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطرسوس
وغير ذلك ، وكانت أيامه سديدة جميلة » .

هذا كافور ، فأما سيف الدولة فإليك شذرات من أقوال المؤرخين فيه :

٤ - جاء في خطط الشام ج ٢ ص ٢١٧ : « كان سيف الدولة يسير هو والشريف
العقبتي بضواحي دمشق ، فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه القوطة إلا لرجل واحد ،
فقال له العقبتي : هي لأقوام كثيرة . فقال سيف الدولة : لئن أخذتها القوانين
السلطانية ليتبرؤن منها . فأعلم العقبتي أهل دمشق بذلك ، فكاتبوا كافوراً يستدعونه
من مصر ، فجاءهم » اه .

٥ - وذكر الأزدي سيف الدولة فقال : « كان سيف الدولة معجباً برأيه محباً
للفخر والبذخ ، مفرطاً في السخاء والكرم ، شديد الاحتمال لمناظره والعجب بأوائمه
سعيداً مظفراً في حروبه ، جائراً على رعيته ، اشتد بكاء الناس منه وعليه » . وإذا
علمت مصادر هذه الأموال التي كان بها سيف الدولة مفرطاً في السخاء والبذخ لم
يعجبك سخاؤه ولا بذخه ، فقد قال صاحب الخطط بعد هذا : « نعم كان سيف الدولة
جائراً على رعيته يخرب قرية ليجهز شاعراً مدحه بقصيدة » ثم قال : (الخطط ج ١ ص
٢٢٢) « لقد استحل سيف الدولة للقيام بهذه الأبهة الضخمة في مملكته الصغيرة
مصادرة رعيته ، فكان قاضيه أبو الحصين يقول : « كل من هلك فليسيف الدولة

ما ترك» ، ولذلك كثرت مصادرة كل غني من الشجار وغيرهم فخربت البلاد الشمالية في أيامه» .

وما أحسن ما ذهل الأستاذ الكردي علي على كلامه في سيف الدولة حين قال : « وفي باب كرمه غرائب بسطت في كتب الأدب ، وكلها على ما فيها من المفاخر في خدمة اللغة والشعر تحمل في مطاويها مساوي الظلم وإعنات الرعية ، فسيف الدولة ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وحسناته أكثر . » اهـ

وأنا لست من رأي العلامة صاحب الخطط في أن حسناته أكثر لأنني أرى جميع هذه الهبات وذلك السخاء المزيف لا يقوم لدرهم واحد يأخذه من رعيته ظلماً ولا ينهض لقطرة دم يسفكها بغير حق . ولا بأس في أن أثبت هنا خبراً نقله الكردي علي نفسه عن ابن حوقل ، ما أظن أن أحداً فيه بقية من إنسانية ورحمة يرضى لنفسه أن يعد سيف الدولة في غير الطغاة العتاة من كبار المجرمين في التاريخ ، لما أتاه من الإجرام الشنيع ٦ - ومن كثرة مظالم سيف الدولة ان بني حبيب وهم أبناء عم بني حمدان ، كانوا يتزلون نصيبين « فأكب عليهم بنو حمدان بصنوف الجور حتى خرجوا بذرادهم في اثني عشر الف فارس إلى الروم وتنصروا بأجمعهم ثم عادوا إلى بلاد الإسلام على بصيرة بمضاره وعلم أسباب فسادهم وقلوبهم تضطرم حقداً » على ما قال ابن حوقل وأخذوا يجربون القرى في الجزيرة والشام وأطعموا صاحب الروم بأنطاكية وحلب . فهل تنفي بهذه الوصمة كل ما بعد لسيف الدولة من مآثر وحسنات وعطايا وهبات ، مع فرضنا أن هذه العطايا وتلك الهبات من ماله الخلال لا من أموال الرعية ولا من المظالم والمصادرات .

أرأيت أيها الأستاذ (رضا) كيف ان سيف الدولة بطأه عمله ولم يسرع به نسبة وان كافوراً سماء وصاحبك ارض . وقل ذلك في صفة من عمل عمله . إن العلم والأدب أمانة فليُنظر قارئ في كتاب : ماترك مؤلفه من عقله وأمانته وما اخذ ، وليتق الله فضاة التاريخ والأدب فإن المهمة شاقة والحمل ثقيل والناقد بصير .

سعيد الوفاي